الشاعر

الشريف بركات

«أبو مالك»

تاليف الدكتور

حسن بن علي بن عون الحارثي الشريف

١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

الشاعر

الشريف بركات «أبو مالك»

تأليف الدكتور

حسن بن علي بن عون الحارثي الشريف

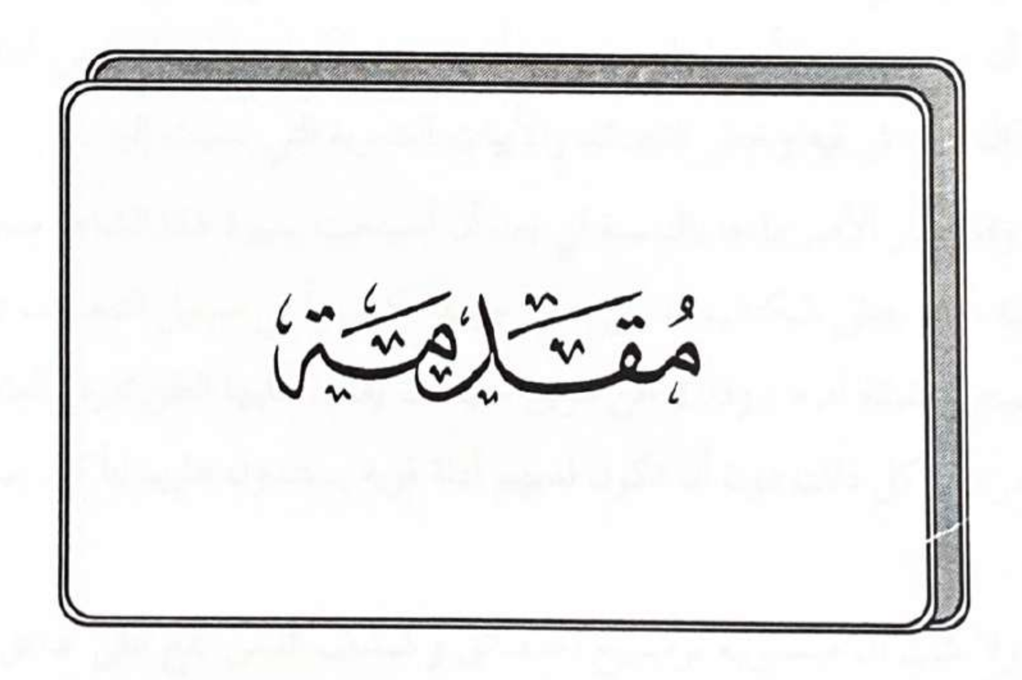
١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشريف ، حسن علي عون الحارثي
الشاعر شريف بركات (أبو مالك) - الرياض : المؤلف ، ١٤١٩
١٠٤ ص، ١٧×٢٤ سم
ردمك ٨-٢٣٥-٣٥-٩٩٦٠
١- الشريف بركات بن مبارك بن عبداللطيف ، ت ١٠٢٤ هـ ٢- الشعر العربي نقد الحجاز أ- العنوان
ديوي ١ ، ٩٢٣ ١٩/٢٣٤٧

رقم الإيداع : ١٩/٢٣٤٧
ردمك : ٨-٢٣٥-٣٥-٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم


مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد:

فلم تكن لدي رغبة ملحة في الكتابة عن الشاعر المشهور الشريف بركات « أبو مالك » وذلك قبل مطالعتي مؤخراً لبعض الكتابات التي تعرضت لإسمه ونسبه وعصره وموطنه وشعره .

والحق أنني لاحظت منذ أن قرأت عن هذا الشاعر في بعض كتب التراث المحلي أن هناك بعض الأخطاء التي يجب أن تصحح لاسيما فيما يخص تحديد عصره الذي عاش فيه وبعض القصائد والأبيات الشعرية التي نسبت إليه .

وقد صار الأمر ملحا بالنسبة لي بعد أن أصبحت سيرة هذا الشاعر مجالا خصبا لآراء بعض الكتاب الذين بذلوا جهدا كبيراً في سبيل التعرف على شخصيته وحقيقة أمره ، وذلك عن طريق تحليلات يغلب عليها الظن تارة والعاطفة تارة أخرى . كل ذلك دون أن تكون لديهم أدلة قوية يستندون عليها لتأكيد صحة آرائهم .

ولا شك أن مسؤلية توضيح الحقائق وكشف اللبس تقع على عاتق من يعرف أصل هذا الشاعر ونسبه وموطنه وكل ما يتعلق بشخصيته ، وهم قومه وأبناء عمومته .

وقد كنت كلما اجتمعت ببعض من يعرف حقيقة أمر الشريف بركات « أبو مالك » يطلب مني أن أكتب عنه لأصحح الأخطاء وما أشيع حول شخصيته من تخمينات وظنون ، فكنت أسوف وأرجئ - بسبب بعض المشاغل - وهذا ما جعلني أبطئ في الكتابة عنه إلى هذا الوقت .

غير أنني من خلال مطالعتي لما كتب عن الشريف بركات « أبو مالك » في السنوات القريبة الماضية أيقت أنه لا بد من إيضاح الحقائق لمن يريد معرفتها وذلك

من خلال تقديم الأدلة التي تثبت صحة اسمه ونسبه وعصره وغير ذلك من الأمور المتعلقة بشخصيته .

وقد أدركت منذ البداية أن هناك شخصان يعرف كل واحد منهما باسم الشريف بركات أحدهما الشريف بركات « أبو مالك » - موضوع البحث - والآخر الشريف بركة أو كما اشتهر على ألسنة الناس بالشريف بركات أيضا - وهو بركة بن مبارك المشعشعي الذي يقال أنه حسيني النسب أي من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهما - غير أن رواة الشعر لم يميزوا مع مضي الوقت بين شعر الشريف بركات « أبو مالك » ، وشعر الشريف بركة المشعشعي الذي يقال له الشريف بركات أيضا ونسبوا ذلك جميعا لشخص واحد هو الشريف بركات ، دون التفريق بين الشخصين وما يخص كل واحد منهما من شعر ، ومن هنا حدث اللبس .

لذلك رأيت - توضيحاً للأمر - أن أقوم بتقسيم هذا البحث إلى قسمين رئيسين :

يختص القسم الأول منهما بالسيرة الذاتية للشريف بركات « أبو مالك » من حيث اسمه ونسبه وعصره وموطنه وعقبه ووقفه وشعره .

أما القسم الثاني فيختص بالتعليق على آراء بعض من كتب عن الشريف بركات ، ومناقشة تحليلاتهم وما توصلوا إليه من نتائج اعتقدوا بصحتها .

ولا أخفي القارئ حقيقة مهمة هي أنني كنت آمل أن يطبع هذا البحث على نحو أفضل ، إذ أن هناك بعض النصوص الشعرية التي عرضت دون تأمل في معانيها وبحث في أساليبها وبعض الأخبار والأحداث التي ذكرت دون شرح لأسبابها أو توضيح لأبعادها ، كل ذلك ضربت عنه صفحا مع أهميته ، خوفا من

الإطالة وحتى لا تطغى هذه المواضيع على هدف الدراسة . فآمل من القارئ العزيز التماس العذر لي في ذلك .

كما أود الإشارة إلى أنني أطلت في ذكر نسب بعض الأشخاص بقصد أن يعرف القارئ العلاقة بين الشريف بركات « أبو مالك » وبين من عاش في عصره ومن بقي من قرابته ومن ذكره في شعره . كما أود الإحاطة إلى أنني كتبت القصائد الشعبية - أو النبطية - كما وردت إلى باملائها ولغتها ووزنها دون تدخل مني في شيء من ذلك .

وختاماً أسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف

مكة المكرمة

الجمعة ٢١ / ٧ / ١٤١٨ هـ

أولاً :

التعريف بالشريف بركات « أبو مالك »

الحديث عن الشريف بركات « أبو مالك » يستدعي عرض الأدلة وسرد الحقائق قبل مناقشة أي موضوع آخر ليسهل على القارئ فيما بعد متابعة التعليق على آراء بعض الكتاب ، وليعرف أسباب الأخذ منهم والرد عليهم وذلك بعد إدراكه لحقيقة شخصية الشريف بركات « أبو مالك » من خلال عرضنا للمواضيع التالية :

١ ـ اسمه ونسبه :

هو الشريف بركات بن محمد بن مالك بن أبي طالب بن الحسن بن أحمد بن محمد « الحارث » بن الحسن بن محمد « أبو نمي الثاني » [(١)] « أبو مالك » شريف حسني نموي حارثي ، من قبيلة الأشراف الحرث [(٢)] من فرع يسمى « ذوي مالك » نسبة إلى جدهم مالك بن أبي طالب .

---

(١) محمد « أبو نمي الثاني » : هو محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن محمد « أبو نمي الأول » بن « أبي السعد » الحسن بن علي « الأصغر » بن قتادة . ولد سنة ٩١١ هـ وتوفي سنة ٩٩٢ هـ ، تولي إمارة مكة المكرمة نحو ثلاث وسبعين سنة ، مشاركا لأبيه ولولديه الشريف أحمد والشريف الحسن في بعض الفترات ومستقلا بها في فترات أخرى .

انظر : العصامي : عبد الملك بن حسين ، توفي سنة ١١١١هـ ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة طبعة سنة ١٣٨٠ هـ ، جـ ٤ ص ٢١٤ ، ٣٣٧ . أيضا الزركلي : خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السابعة سنة ١٩٨٦م ، جـ ٦ ص ٥٢ .

(٢) الأشراف الحرث : هم أبناء الشريف محمد « الحارث » بن الحسن بن محمد « أبو نمي الثاني » . يسكن قسم منهم الخرمة ونواحيها وهم عقب ناصر ومحمد ابني أحمد بن محمد « الحارث » . والقسم الآخر يسكن وادي المضيق ـ نخلة الشامية ـ ومكة المكرمة ، وهم عقب الحسن بن أحمد بن محمد « الحارث » . منهم رجال مشهورون مثل فوزان بن هزاع وعبد الله بن ثواب « أبو يابس » وعلي بن حمزة وعلي بن الحسين ، وعلي بن عريد وعبد المعين بن غالب وفايز بن هزاع ومحمد بن فوزان وغيرهم .

يتفرع حرث المضيق ومكة المكرمة إلى ثلاثة فروع رئيسية : = =

فـقد أعـقب الشريـف أبو طالب ثلاثة من الأبناء هم علي وعـمرو ومـالك . أعقب جميعهم غـير أن عقب مالك بن أبي طالب من الذكور « درج » بعد ذلك ، وكان آخر عـقبة ذكرا هو مالك بـن الشريف بركات [(١)] . وبالتالي فـإن من اعتنى بتدوين مشجرات الأنساب أغفل ذكر ذوي مالك أسوة بغيرهم ممن انقطع نسلهم، حتى لا تتراكم المشـجـرات بأسمـاء أشـخـاص انقطع عـقـبـهم . اللهم إلا بعض الأسماء في أعلى طبقات النسب تركت لعدم البت في أمر أصحابها بين أن يكون لهم عقب غـير ظاهر لنا الآن وبين أن يكون عـقبهم قـد انقطع ودرج . وهذه أمور يعرفها المشتغلون بهذا الفن [(٢)] .

= ١ ـ ذوي زين العابدين بن الحسن بن أحمد بن محمد الحارث .

٢ ـ ذوي طالب بن الحسن بن أحمد بن محمد الحارث .

٣ ـ ذوي باز بن محسن بن ادريس بن الحسن بن أحمد بن محمد الحارث .

انظر مع اضافتي لبـعض المعلومات : آل عبد الله بن سـرور : الشريف محمد بن منصـور ، قبائل الطائف واشراف الحجاز ، مطابع الحارثي ، الطائف ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ ، ص ٤٥ ، ٥٤ .

(١) مجمل هذه المعلومـات رواها لي مشافهة الشريف مـحمد بن حمود بن الحسين بن محـمد بن دخيل الله بن علي بن عمـرو بن أبي طالب الحارثي ـ أبو مالك ـ المتوفى يوم ١٩ / ٥ / ١٤١٨ هـ وعـمره ٧٩ سنة ثم قمت بمراجعتها مع ابنه مالك الأستاذ بقسم اللغة الانجليزية بجامعة أم القرى .

ومحـمد بن حمـود رجل مطلع لديه معلومـات جيدة في التـاريخ والأنساب كان يعـمل برتبة عمـيد في وزارة الدفاع ، وتولـي القيادة العـسكرية لمنطقة مكـة المكرمة ، ومقـرها القشلة بمكة آنـذاك ، وأحيل إلى التقاعد سنة ١٣٨٣ هـ .

(٢) من أقدم مـشجرات الأنساب لأشـراف المنطقة التي وصلت إلينا ـ على حسب علمي ـ هي المشـجرة التي تنسب للشريف سرور بـن مساعد ـ أمير مكة آنـذاك ـ يقال أنها مؤرخة بسنة ١٢٠١ هـ ، مـحفوظة عند الشريف مـساعد بن منصور آل عـبد الله ـ متعـه الله بالصحة والعافية ـ . قمت أولا بمطالعة صـورة منها لأنها أقرب المشـجرات إلى عصر الشريف بركات أبو مـالك ، فوجدت أن ما كتب منها بخط نـاسخها الأصلي يقف عند ذكـر الشريف الحـسن بن أحـمد بن مـحمـد الحارثي فـقط ، أي قبل ذكـر تفريعـات الأشراف الحـرث التي جاءت بعد ذلك ـ ومنهـا فرع أبي طالب بن الحسن ـ ثم لاحظت إضـافات بخط مغاير أضافت إلى أصل هذه المشجره تفريعات بقدر المستطاع لطبقات تالية . ويبدو أن الذي وضع =

٢ - عصره :

الراجح أن الشريف بركات « أبو مالك » عاش خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة ، حيث عاصر مجموعة من أمراء مكة المكرمة على التوالي منهم الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن محسن بن حسين بن الحسن بن محمد « أبو نمي الثاني » الذي تولى الإمارة سنة ١١٨٦ هـ واستمر حتى وفاته سنة ١٢٠٢ هـ [١] .

كما عاصر الشريف بركات أيضا أحداث الخلافات التي نشبت بين الشريف سرور بن مساعد - أثناء إمارته - وبين الشريف عبد الله بن أحمد « الفعر » بن زين العابدين بن عبد الله بن الحسن بن محمد « أبو نمي الثاني » والتي استمرت من سنة ١١٨٧ هـ وحتى تمكن الشريف سرور من القضاء على فتنته ومن ثم

= هذه الاضافات الحديثة رأى انقطاع عقب مالك بن أبي طالب فلم يذكره واكتفى بذكر من بقي له عقب من أبناء أبي طالب وهم علي وعمرو فقط . أما المشجرة التي كانت محفوظة لدى الشريف علي بن منصور الكريمي والتي يقال إنها مورخة بسنة ١٢٢٤ هـ أي أنها قريبة أيضا من عهد الشريف بركات ، فإنه لم يرد فيها سوى ذكر زين العابدين بن الحسن بن أحمد بن محمد الحارث وحفدته فقط دون غيرهم من أبناء الحسن علما أن من أبناء الحسن هذا أبا طالب وادريس . ومن هنا لم نستطع معرفة تفريعات عقب أبي طالب التي منها فرع ذوي مالك . أما ما نقل إلينا من نسخ مشجرة الري نسخة مؤرخة بسنة ١٣٨٩ هـ قام بكتابتها الشريف محمد هاشم بن سعد الدين آل غالب ، تعد من المشجرات المتأخرة ذلك أن أصلها الذي نقلت عنه المؤرخ بسنة ١٢٩٦ هـ تمزق بعض أجزائه - وهذا الأصل مفقود - وقد أثبت في النسخة المنقولة من عقب أبي طالب أبناء علي وعمرو فقط وأهمل ذكر عقب مالك بن أبي طالب لانقطاع نسله من الذكور وقد سار على نهج هذه المشجرة كل من اهتم بعمل المشجرات بعد ذلك فأغفل ذكر عقب مالك بن أبي طالب أسوة بغيره ممن انقطع نسله . انظر ملحق (١) .

(١) امتدت فترة إمارة الشريف سرور بن مساعد أكثر من خمس عشرة سنة وكان عمره حين وفاته نحو خمس وثلاثين سنة .

انظر عن تفصيل ذلك : دحلان : أحمد زيني ، توفي سنة ١٣٠٤ هـ ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، طبعة سنة ١٣٩٧ هـ ، ص ٢٠٧ - ٢٢٥ .

سجنه في ينبع [1] مضيقا عليه حتى مات في سجنه وقيل بل قتل خنقا في سنة ١١٨٩ هـ [2].

ويؤكد صحة ترجيحنا للفترة التي عاش فيها الشريف بركات « أبو مالك » بعض أبيات قصيدته الكافية المشهورة ، التي حذر في أحد أبياتها ابنه مالكاً من أمير مكة في ذلك الوقت وهو الشريف سرور بن مساعد حيث قال :

واحذر سرور بغبة البحر يرميك ولا هو مفكر في تجزعك وبكاك

كما وجهه في بيت آخر من نفس القصيدة إلى الاعتبار مما جرى للشريف عبد الله الفعر نتيجة خروجه على أمير مكة آنذاك الشريف سرور بن مساعد حيث قال :

واعرف ترى اللي وطا الفعر واطيك ولا أنت أعز من الجماعة هذولاك

٣ ـ موطنه :

سكن الشريف بركات « أبو مالك » وادي المضيق ـ وادي الليمون أو ما كان يعرف قديما بوادي نخلة الشامية [3] ـ وذلك مع باقي أفراد قبيلته من

---

(١) ينبع : واد فحل كثير القرى والعيون والسكان يقع غرب المدينة المنورة أعلاه وادي بواط ، وروافده من جبلي الأشعر والأجرد ثم ينحدر غربا حتى يدفع في البحر الأحمر قرب مدينة ينبع البحر وهي مدينة ساحلية تطل على الساحل الشرقي للبحر الأحمر تقع شمال مدينة جدة على مسافة ٣٥٤ كم ، انظر البلادي : عاتق بن غيث ، معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ، جـ ١٠ ص ٣٦ ، ٣٩ ـ ٤٠ ، وينبع يقصد بها هنا مدينة ينبع البحر .

(٢) عن أحداث هذه الخلافات انظر : دحلان : خلاصة الكلام ، ص ٢٠٩ ـ ٢١١ .

(٣) يقول البكري : نخلة على لفظ واحدة النخل موضع على ليلة من مكة .

ويقول الجاسر : المضيق : هو ما يعرف قديما باسم وادي نخلة الشامية كان في مضيقه عين للأشراف الحرث ومعهم أناس من هذيل ، وطغى اسم المضيق على الوادي فأصبح يعرف بوادي المضيق وبوادي الليمون . انتهى . ومثل ذلك قال البلادي . ويقول ابن بليهد : أما نخلة الشامية فتبدأ من عين =

الأشراف الحرث ، الذين استقروا في هذا الوادي الخصب منذ عهد جدهم الشريف الحسن بن أحمد بن محمد « الحارث » الذي انتقل من المبعوث [1] إلى المضيق بعد وفاة والده الشريف أحمد بن محمد « الحارث » سنة ١٠٨٥ هـ [2] .

ولا يزال للأشراف الحرث مساكن وأملاك وأوقاف في وادي المضيق إلى وقتنا الحاضر .

ويبدو أن الشريف بركات « أبو مالك » كغيره من أبناء عمومته كانت تربطه بعض العلاقات بأمراء مكة المكرمة آنذاك . وهي علاقة تقوى وتضعف حسب ظروف كل وقت .

= المضيق باتجاه مكة المكرمة . انظر البكري : عبد الله بن عبد العزيز توفي سنة ٤٨٧ هـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٤ هـ ، جـ ٣ ص ١٠٠٤ ، الجاسر : حمد ، مقال بعنوان الموسوي في رحلته نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ، مجلة الفيصل عدد ٢٢٣ ، ص ٣٦ ، البلادي : معجم معالم الحجاز ، دار مكة للنشر والتوزيع ، طبعة سنة ١٣٩٩ هـ ، جـ ٢ ص ٤٣ جـ ٩ ص ٤٠ ، ابن بليهد : محمد بن عبد الله ، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، طبعة سنة ١٣٩٢ هـ ، جـ ١ ص ٣٥ .

والمضيق يقع شمال شرق مكة المكرمة على مسافة ٤٥ كم عبر طريق السيل الموصل بين مكة المكرمة والطائف .

(١) المبعوث : واد فيه زراعة ومياهه رهية غير أن عمرانه أقل من امكاناته وهو مجمع أودية العرج وشرب والمهيد ، فيصب في سهول ركبة ، جل سكانه اليوم من قريش .

البلادي : معجم معالم الحجاز ، دار مكة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ ، جـ ٨ ص ١٥ .

(٢) يقول العصامي في أحداث سنة ١٠٨٥ هـ : « وفي تاسع رجب منها توفي مولانا السيد أحمد بن محمد الحارث بمكة المكرمة ، كان رحمه الله آية في العقل والذكاء مرجعا للأشراف في جميع أمورهم ، وإذا حكم بأمر لم يقدر أحد أن يستدرك عليه فيه شيئا لحسن حكمه وشدة أحكامه . وكان قد ولاه حسن باشا في طيبه كما مر ذكر ذلك مدة ستة أشهر أوقريبا منها ، ولما رجع عماد أفندي إلى الديار الرومية - يقصد تركيا - سئل عمن يستحق الملك إذ ذاك من السادة الأشراف ؟ فقال : ثلاثة لا غير أحمد بن الحارث وحمود بن عبد الله وبشير بن سليمان » . سمط النجوم العوالي ، جـ ٤ ص ٥٢٨ .

٤ ـ عقبــه :

سبق أن ذكرنا أن عقب ذوي مالك بن أبي طالب من الأشراف الحرث ـ الذكور منهم ـ قد انقطع ودرج . وهم الذين ينتسب إليهم الشريف بركات « أبو مالك » . وقلنا أن آخر هذا الفرع ذكرا هو مالك بن الشريف بركات .

لكن مالكاً بن الشريف بركات أعقب ابنة اسمها « موضي » تزوجها الشريف الحسين بن محمد بن دخيل الله بن علي بن عمرو بن أبي طالب بن الحسن بن أحمد بن محمد « الحارث » المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ ـ وكان عمره قد تجاوز المائة عام عند وفاته ـ .

وقد أعقب الشريف الحسين بن محمد من زوجته « موضي » ابنة مالك بن الشريف بركات ابنين هما « محمد » الذي قتل سنة ١٣٤٣ هـ و « حمود » الذي توفي سنة ١٣٥٢ هـ [١] ولكل واحد منهما أبناء وحفده إلى وقتنا الحاضر . يمتاز بعضهم بالقريحة الشعرية الجيدة ، وننعتهم اليوم بذوي مالك دون غيرهم من أبناء الحسين وذريتهم . ليس لأنهم ينتمون إلى ذوي مالك بن أبي طالب الذين انقطع نسلهم ولكن لأن جدهم لأمهم هو مالك بن الشريف بركات .

٥ ـ وقفــه :

للشريف بركات « أبو مالك » وقف خيري مشهور في وادي المضيق عبارة عن نصف ساعة من ماء عين المضيق ـ الغزيرة الثرة ـ تصب في صهريج ضخم

---

(١) مجمل المعلومات الخاصة بعقب الشريف بركات « أبو مالك » رواها لي مشافهة الشريف محمد بن حمود بن الحسين الحارثي « أبو مالك » . ثم راجعتها مع ابنه « مالك » . وتجدر الاشارة إلى أن والد الشريف محمد بن حمود هو حفيد مالك بن الشريف بركات من ابنته موضي .

لأبي مالك بني تحت الأرض قرب المقبرة التي في أسفل الجبل الذي كان يسكنه ذوو طالب من الأشراف الحرث في موقع يعرف بشِعب نباته [١] .

كان يشرف على هذا الوقف حفيدا الشريف بركات وهما الشريف محمد والشريف حمود ابني الشريف الحسين ثم ذريتهما من بعدهما الأرشد منهم فالأرشد ، وذلك حتى وقت ليس بالبعيد حيث احتيج منذ سنوات إلى باقي ماء عين المضيق لسقيا أهالي مكة المكرمة ، فأصبح وقف الشريف بركات من جملة المياه التي استفاد منها سكان البلد الحرام .

وتجدر الإشارة إلى أنني لم أطلع - إلى الآن - على وثائق تخص وقف الشريف بركات على الرغم من شهرته بين سكان المضيق عموما . هذا مع العلم أنني أدركت فترة من استمرار استفادة الناس من هذا الوقف . كما لا يزال من أشرف عليه في بعض الفترات موجود إلى يومنا هذا . أعرفهم بحكم القرابة والنسب ، وجميعهم من حفدة مالك بن الشريف بركات من ابنته موضي التي تزوجها الشريف الحسين بن محمد الحارثي .

والحق أن هناك بعض الأوقاف المشهور التي ليس لها وثائق دونت في حينها، وإنما تم ذلك في فترات تالية من عمر الوقف . بل إن بعض الأوقاف لا تزال غير موثقة إلى اليوم ، منها أوقاف للأشراف الحرث وغيرهم في وادي المضيق ، وتعرف هذه الأوقاف بالأوقاف السماعية .

---

(١) يقول البلادي : بنو نباته : بطن من « بني » من هذيل يسكن نخلة الشامية عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، دار مكة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٣ هـ ، ص ٥٢٦ . وعن صهريج ماء وقف الشريف بركات ، انظر الملحق رقم (٣) .

ولكن قد يسأل البعض هل كل من له ملك أووقف في وادي المضيق سواء أكان ذلك حصة من ماء عينه أم قطعة من أرضه لا بد أن يكون من الأشراف الحرث ؟

إن الواقع يشهد بوجود أملاك وأوقاف في وادي المضيق لغير الأشراف الحرث ، ولكن لم أرد من ذكر وقف الشريف بركات أن أدلل على أنه شريف حارثي ولكن أردت إكمالا للفائدة أن أذكر وقفه ، حيث فيه إشارة إلى أن الشريف بركات من أشراف مكة المكرمة ـ وما يتبعها إداريا آنذاك ـ وهذه الحقيقة ندرك أهميتها عند مناقشتنا لآراء بعض من كتب عن شخصية الشريف بركات .

غير أن أقوى الأدلة على أن الشريف بركات « أبو مالك » حارثي النسب هو ما يؤكده حفدته اليوم من أن جدهم لأمهم حارثي من ذوي مالك بن أبي طالب ، وهم أعلم بنسبهم . وهذا هو المشهور أيضا بين أبناء قبيلة الأشراف الحرث .

أضف إلى ذلك أن الفقرات التالية مع ما سبق سوف تجعل الأمر أكثر وضوحا للقارئ بما احتوت عليه من أدلة وحقائق .

٦ ـ شعره :

لم أعرف للشريف بركات « أبو مالك » من أفواه رواة الشعر في المنطقة سوى قصيدتين تنسب إليه دون منازع [(١)] .

إحداهما القصيدة « الكافية » المشهورة والأخرى قصيدة « حائية » ـ سوف يأتي الحديث عنهما فيما يلي ـ وكنت أتمنى لو وجدت المزيد من شعره الذي يمتاز بالحكمة ورصانة العبارة وجزالة اللفظ .

---

(١) هناك أبيات من قصيدة ينسبها بعض الرواه للشريف بركات « أبو مالك » والبعض الآخر ينسبها لغيره ، ولم أستطع ترجيح أحد القولين . ومن أبيات هذه القصيدة قول الشاعر :

يا ليت بقعة من بلادي تجي هيل ويصير لياماقل يكثر عليه

فقد سألت كل من عرفت ممن يهتم برواية الشعر الشعبي من الأقارب وغيرهم من سكان منطقة الشاعر ـ مكة المكرمة وما حولها ـ التمس عندهم المزيد من شعره فلم أجد لديهم سوى ما أشرت إليه . وقد أسمعتهم ما نسب إلى الشريف بركات من أشعار جاءت في بعض كتب التراث الشعبي المحلي ، مثل القصيدة البائية التي مطلعها :

عفا الله عن عين للأغضا محاربه وجسم دنيف زايد الهم شاعبه

أسهر إليا نام المعافا ومدمعي قد هل ما بين النظير ين ساكبه

وهي قصيدة طويلة جيدة ، غير أن من سألت من الرواه عن صحة نسبتها للشريف بركات « أبو مالك » نفوا ذلك .

وكذلك نفى هؤلاء الرواه أن يكونوا قد سمعوا قبل ذلك من يروي للشريف بركات « أبو مالك » القصيدة العينية التي مطلعها :

قال بركات الحسيني والذي له جواد ما تدنى للمبيعه

قصير قينها وافي جماها كبيره راس منتجها رفيعه

وكذلك كان جوابهم عندما أسمعتهم القصيدة العينية الأخرى التي منها :

ما ضحك إلا والبكا مردف له ولا شبعه إلا مقتفيها جوع

ولا يد إلا يد الله فوقها ولا طايرات إلا وهن وقوع

وكذلك بقية المحاورات التي تنسب للشريف بركات « أبو مالك » مع بعض الشعراء وما نسب إليه من مدائح قيلت فيه [1] ، مما جاء في بعض كتب التراث

---

(١) لا أستطيع هنا ذكر كل ما نسب إلى الشريف بركات من قصائد قالها ومدائح قيلت فيه ومحاورات دارت فيما بينه وبين من عاصره من الشعراء لأنها لاعلاقة لها أصلا بالشاعر الشريف بركات =

الشعبي المحلي وما تناقلته ألسن بعض رواة الشعر . كل ذلك تبين لي عدم صحة نسبته للشريف بركات « أبو مالك » وأنه ليس له علاقة به لا من قريب ولا من بعيد .

لذلك سوف أذكر ما صحت نسبته إليه من الشعر والذي تمثله ـ حسب علمي ـ القصيدة « الكافية » وما وصل إلينا من القصيدة « الحائية » فقط .

(أ) القصيدة الكافية :

وهي قصيدة مشهورة تناقلها الرواه داخل البلاد وخارجها يرددون أبياتها ويستشهدون بما احتوت عليه من وصايا وحكم . لذلك سوف أورد هنا بعضا من أبياتها بقصد الاستدلال من خلال لغتها والشخصيات التي وردت فيها على أن الشريف بركات « أبو مالك » من أشراف مكة المكرمة وما يتبعها إداريا آنذاك [1] .

فقد أوصى الشاعرابنه في هذه القصيدة بكريم الخلال وحميد الخصال وذلك بعد أن استهلها بالدعاء والتضرع إلى الله ، حيث قال :

يا الله يلي كل الامات ترجيك	يا واحد ما خاب حي ترجاك
يا رب عبد ما مشى في معاصيك	ولا مشى إلا في محبتك ورضاك
يا مرقب بالصبح ظليت أباديك	ما واحد قبلي خبرته تعلاك

ومنها قوله :

= « أبو مالك » وإنما بشخصية أخرى سوف تتضح فيما يلي من البحث عند عرضنا لآراء بعض من كتب عن الشريف بركات ، وهذه الشخصية سبق أن أشرنا إليها في مقدمة البحث وقلنا إنها تخص بركة المشعشعي فقد حدث لبس لدى رواه الشعر فخلطوا بين قصائد الشريف بركات « أبو مالك » والشريف بركه أو بركات المشعشعي مع العلم أنهما عاشا في فترتين مختلفتين من الزمن .

(١) عن باقي القصيدة انظر ملحق رقم (٢) ـ لعل ما حفظ يمثل أغلب أبيتها .

يا مالك اسمع جـابتي يوم أوصيك واعرف ترى يا بوك بأمـرك وأنهاك

وصـيـــة مـن والد طامـع فـيك تسبق على السـاقـة لسـانه لعليـاك

وقوله :

احفظ دبشك اللي عن الناس يغنيك اللي ليـا بان الخلل فـيـك يرفـاك

واعـرف تـرى مكة ولاها بناخـيك لو تطلبه خـمسـة دواوين ما أعطاك

وقولـه :

واحـذر سرور بغبـة البـحر يرميك ولا هو مـفكر فـي تجـزعك وبكاك

وقوله :

واعرف ترى اللي وطا الفعر واطيك ولا انت أعـز من الجماعـة هذولاك

إلى آخر أبيات هذه القصيدة التي يتبين من لغتها وطريقة نظمها أن قائلها من شعـراء الجزيرة العربية . فـهذا النـوع من الشعـر الشعـبي كان مـعروفا قبل الفـترة التاريخية التي عاش فيهـا الشريف بركات « أبو مالك » ـ النصف الثاني من القرن الثاني عشـر والنصف الأول من القرن الثالث عشـر للهجرة ـ [1] فمن يطالع أخبار الشعـر الشعبي وبـداياته في المنطقة يدرك أن الشعـر الشعـبي كان شائعـا في أرجاء الجزيرة العربيـة آنذاك مع غيره من أنواع الشعـر العربي ، ولا يزال مستـمرا إلى وقتنا الحاضر .

---

(١) يرجع د . غسان الحسن البدايات الأولى للشعر النبطي البدوي في منطقة الخليج والجزيرة العربية إلى نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس الهجري تقريبا . في حين يرجح ابن عقيل الظاهري أن بداية الشعر العامي بلهجة أهل نجد كان في القرن التاسع الهجري تقريبا .

انظر : الحسن : غسان حسن أحمد ، الشعر النبطي في منطقة الخليج والجزيرة العربيـة ، المجمع الثقافي ، مؤسسة الثقافة والفنون ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م جـ ١ ص ٥٩ ، الظاهري : أبو عبد الرحمن بن عقيل، ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد، دار العلوم، الرياض، للطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ، ص٦١.

لكن مضمون هذه القصيدة يدل دلالة واضحة على أن قائلها من الأشراف الذين تربطهم صلة نسب بأمراء مكة المكرمة في ذلك الحين ، وأنه يعيش في حدود أرض إمارتهم . وهذا يتضح من نصيحة الشاعر لابنه في أبيات القصيدة بأن يحفظ ماله الذي يغنيه عن الناس ولا يغتر بقرابته من أمير مكة ـ آنذاك ـ الذي ربما إذا اضطرته الظروف واحتاج إلى شئ من المال لم يعطه ذلك الأمير ما يحتاج إليه ، حيث قال :

احفظ دبشك[1] اللي عن الناس يغنيك   اللي ليا بان الخلل فيك يرفاك
واعرف ترى مكة ولاها بناخيك   لو تطلبه خمسة دواوين[2] ما أعطاك

كما دلت القصيدة أيضا على أن قائلها له ابن اسمه « مالك » ورد ذكر اسمه صراحة في بعض أبياتها حيث قال :

يا مالك اسمع جابتي يوم أوصيك   واعرف ترى يا بوك بأمرك وأنهاك
وصية من والد طامع فيك   تسبق على الساقه لسانه لعلياك

أيضا ساعدت بعض الأبيات على تحديد الفترة الزمنية التي نُظمت فيها القصيدة وهي فيما بين سنة ١١٨٩ هـ التي مات أو قتل فيها الشريف عبد الله الفعر في سجنه بينبع ، وبين ما تبقى من فترة امارة الشريف سرور بن مساعد التي انتهت بوفاته سنة ١٢٠٢ هـ .

---

(١) الدبش : في عرف أهل المنطقة ما يملكه الشخص من ماشية ، كما يطلق أيضا على بعض الأثاث وعلى المال عموما .

(٢) دواوين : جمع ديوان ، كلمة لها عدة معان يكنى بها عن النقود في عرف أهل المنطقة آنذاك ، وربما قصد الشاعر هنا الأجزاء الصغيرة منها حيث جاء في بعض روايات هذا البيت قوله : لو تطلبه خمسة ملاليم ما أعطاك .

فقد وجه الشاعر ابنه « مالكا » إلى الاعتبار مما جرى للشريف عبد الله الفعر، وأنه سوف يواجه نفس مصيره إذا فعل مثل فعله حيث قال :

واعـرف ترى اللي وطا الفعـر واطيك   ولا أنت أعـز من الجـمـاعـة هذولاك

كمـا حذره أيضا من أمـير مكة ـ آنذاك ـ وهو الشـريف سرور بن مسـاعد ، وخوفـه من عقابه مما يدل على أن الـقصيدة نـظمت في الفترة المتبقيـة من إمارته ، وذلك بعد قضائه على فتنة الشريف عبد الله الفعر حيث قال :

واحـذر سـرور بغـبة البـحـر يرمـيك   ولا هو مـفـكر في تجـزعـك وبكاك

هذا بعض ما يستـفاد من أبيات القصـيدة للاستدلال بها علـى نسب الشاعر وكنيته وعصره وموطنه ، غير أنه لدينا قـصيدة للشريف علي بن الحسين بن محمد بن دخيل الله بن علي بـن عمرو بن أبي طالب الحـارثي المتوفى سنة ١٣٧٥ هـ [١] نظمها على منوال قصيدة الشـريف بركات « أبو مالك » فجاءت على نفس الوزن والقافـية والمعنـى ، أوصى فيهـا ابنه « مشـهورا » المتـوفى سنة ١٤٠٥ هـ . أرى من المناسب ذكـر بعض أبياتهـا لأن فيـها أدلة أخـرى تؤكد صـحة الحـقائق التي سـبق ذكـرها عن نسب الشـريف بـركات « أبـو مـالك » حـيث قـال الشـريف علي بن الحسين الحارثي :

يا الله يلي كل مـخلوق يرجـيك   يا واحـد كل الخـلايق تـرجـاك
افـزع لعـبـد طول الأيـام يدعـيك   عنـده يقين أنه ضـعـيـف بليـاك
وياالقـاف يلي لبـو مـالك مسـويك   اطرا عليـه حـسن قـولك ومـعناك

---

(١) الشريف علي بن الحسين رجـل معروف تولى إمارة وادي المضيق منذ عـهد الملك عبد العزيـز يرحمه الله واستمر في منصبه حتى توفي سنة ١٣٧٥ هـ .

التب لك قلبي وقلت لك لبيك ... وتفتحت بيبان صدري ولباك
غنا بعدك الحارثي في معانيك ... لو كان أخذت الزين منها ويفداك
مرحوم يا ابو مالك بقولك نهنيك ... متين حول عند الأجناب طرياك
وانته محد مع طول الأيام ناسيك ... يا الحارثي يا المالكي محد ينساك
يبايعشي البناخي في معاشيك ... لو كان مبعد في مثايلك وبناك
ونبا نوصي ما بقي من ذراريك ... اللابه اللي من جدودك وآباك
آلاد حارث عز دارك ووأديك ... منعورهم يحزن لياشاف مرساك
مشهور جعل الله من الشر يذريك ... لي طمعه لن كان مولاك خلاك
احرص على الطيب بربعك وعانيك ... ومن جا لزومه لا تخليه ينخاك
وإن كان ربعك ما أدرقوا همهم فيك ... ما واحد يفرح بشوفك ولاماك

قصيدة طويلة لا تقل عن قصيدة الشريف بركات في الرصانة والجزالة والحكمة منها قوله أيضا :

واللي لياجا لزوم ما يباريك ... هذاك عده عند لازمك خلاك
وليا نخيته في لزومك يخليك ... ويشمتك مع تعليم خصمك بدعواك
هذاك خله والحذر لا يباريك ... ما يختلف طبعه ولو كان باراك
أرجوك جز من خوته لا يخاويك ... الا يكون أنه بلا وعد خاواك

وقوله :

واللي صحيح انته تزوره وياتيك ... احرص عليه ولا تخليه يشناك
والطيب في الأطياب واللي يواليك ... سوه وخله لا تمنن بعطواك
اتكل على رب الملا في مساعيك ... واحذر تصير بخيل في مد يمناك
البخل يخرب ما تعمر ويرخيك ... ويرخصك ولو انك غني بدنياك
وراعي العطا واحد ليا راد يعطيك ... اكرم بربك واشكر الله ليا اعطاك

إلى آخر أبيات القصيدة التي يتضح من خلال عرضنا لبعض منها أنها احتوت على أدلة تؤكد أن الشريف بركات « أبو مالك » صاحب القصيدة « الكافية » المشهورة شريف حارثي حيث قال الشريف علي بن الحسين :

وانته محد مع طول الأيام ناسيك   يا الحارثي يا المالكي محد ينساك

أو كما جاء في رواية أخرى لهذا البيت :

وانته محد مع طول الأيام ناسيك   يا الحارثي يا الهاشمي محد ينساك

وكلا اللفظين ينصان على أن « أبو مالك » حارثي النسب ، وإن كان نعته في رواية البيت الأولى بالمالكي أي أنه من ذوي مالك بن أبي طالب أحد فروع قبيلة الأشراف الحرث حيث أن جد الفرع الذي ينتمون إليه اسمه « مالك » والنسبة إلى مالك مالكي . وأما نعته بالهاشمي في رواية البيت الثانية فالمقصود أنه ينتسب إلى بني هاشم من قريش (1) ، وهذا أمر معلوم ومشهور بين الناس فهم يلقبون الأشراف ببني هاشم أيضا .

ثم انظر إلى قول الشريف علي بن الحسين :

---

(1) بنو هاشم : مشهورون لا يحتاجون إلى تعريف - منهم رسول الله ﷺ - وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي ينتسب الأشراف إلى ابنه الحسن رضي الله عنه .

انظر عن بني هاشم مثلا القلقشندي : أحمد بن علي المتوفي سنة ٨٢١ هـ ، نهاية الأرب في معرف أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، ص ٣٨٦ .

وعن انتساب الأشراف إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما انظر نسب جد أغلب أشراف مكة وهو الشريف قتادة بن ادريس بن مطاعن « أبو عزيز » الذي تولى إمارة مكة المكرمة سنة ٥٩٨ هـ .

عز الدين ابن فهد : عبدالعزيز بن عمر الهاشمي القرشي توفي سنة ٩٢٢ هـ ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، دار المدني ، جدة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ ، جـ ١ ، ص ٥٥٠ - ٥٥١ .

ونبـا نوصي مـا بقي مـن ذراريك	اللابه اللي مـن جـدودك وآبـاك
آلاد حـارث عـز دارك ووادیك	منعورهم يحزن لياشاف مرساك

ففي هذين البيتين إشارة واضحة إلى أن الشريف بركات « أبو مالك » من الأشراف الحرث ، فالشاعر يقول أريد أن أوصي ما بقي من « ذراريك » وهم « لابتك » أي قرابتك الذين تربطهم بك صلة نسب عن طريق جدودك وآبائك . ثم يوضح منهم « اللابه » الذين هم أقرب الناس إليه فيقول هم « آلاد حارث » أي الحرث ذرية الشريف محمد الحارث الذي يرى أنهم عز داره وواديه ـ وادي المضيق ـ وأن « منعورهم » أو خصمهم يصاب بالحزن إذا رأى صمودك .

ثم إن الشاعر قال قبل ذلك :

مـرحـوم يا أبو مـالك بقـولك نهنيك	ميـتين حـول عند الأجناب طرياك

أي أنك منا وذكرك الطيب قد وصل إلى من نراهم « أجناب » عنا وعنك من سائر الناس ، وهي إشارة واضحة أيضا تدل على أن الشريف بركات « أبو مالك » شريف حارثي .

أما قوله : « ميتين حول عند الأجناب طرياك » فإنني حاولت أن أحدد تقريبا الزمن المحتمل بين تاريخ القصيدتين فوجدت أنه حوالي مائة وستين سنة أو يزيد قليلا .

ذلك أن الشريف بركات نظم قصيدته ـ كما أسلفنا ـ فيما بين وفاة أو مقتل الشريف عبدالله الفعر سنة ١١٨٩ هـ وبين ما تبقى من فترة إمارة الشريف سرور بن مساعد التي انتهت بوفاته سنة ١٢٠٢هـ أي ربما نظمت القصيدة في نفس السنة أو في سنة ١١٩٠هـ أو ١١٩٥ هـ مثلا أو في غيرها من السنوات خلال

الفترة التي حددناها ، وإن هذه القصيدة التي احتوت على نصائح وارشادات ربما وجهها الشاعر إلى ابنه « مالكا » وهو في مقتبل عمر الشباب .

وبما أن الشريف علي بن الحسين نظم قصيدته ـ كما علمت ـ حوالي سنة ١٣٥٥هـ وابنه « مشهور » في مقتبل عمر الشباب أيضا ، إذ يتضح ذلك من أحد أبيات القصيدة حيث قال الشريف علي بن الحسين :

مشهور جعل الله من الشر يذريك لي طمعه لن كان مولاك خلاك

وعليه فإن قول الشريف علي بن الحسين « ميتين حول » لا يقصد به تحديدا دقيقا للفترة بين القصيدتين ولكن قوله هذا من مبالغات الشعراء التي يلجأون إليها في الغالب لإعطاء ألفاظهم قوة وجزالة ، وهذا أسلوب معروف في الشعر العربي عموما .

أما قوله :

يايعشي البناخي في معاشيك لو كان مبعد في مثايلك وبناك

فإن هذا القول ينم عن ذوق رفيع وأدب جم كان يتحلى به الشاعر إذ وصف نفسه بأنه « بناخيه » [1]وإن كان هذا النعت ـ في عرف أهل المنطقة ـ إنما يصدق أكثر على أخويه محمد وحمود وذريتهما .

أيضا تأمل حسن أدب الشاعر وهو يخاطب في هذا البيت الشريف بركات بقوله إنني أريد أن أنظم على نمط قصيدتك إذ أنني « أعشي في معاشيك » ، وإن كنت لا أستطيع أن أنظم مثل شعرك الرصين لكنني أحاول « لو كان مبعد في مثايلك وبناك » .

---

(١) البناخي : مصطلح محلي له عدة معان يقصد به ابن الأخ وأيضا ابن الأخت كما يطلق على الحفدة ويطلقه الرجل على زوج ابنته بل والرجل المسن على من يصغره من أبناء قبيلته .

ثم انظر قوله :

غنا بعدك الحارثي في معانيك　　لو كان أخذت الزين منها ويفداك

أي إنني نظمت هذه القصيدة بعد أن طالعت المعاني التي جاءت في قصيدتك فنسجت على منوالها غير أنك سبقتني إلى أفضل المعاني وهي فداء لك لأنك أهل لها .

وهنا أقول إنصافا للشريف علي بن الحسين أن قصيدته لا تقل عن قصيدة الشريف بركات « أبو مالك » سواء في سلاسة الأسلوب أو جزالة المعنى أو حسن العبارة ، ولكن الخلق الفاضل والأدب الرفيع جعله يعتذر بهذين البيتين :

وتأمل أخيرا قول الشريف علي بن الحسين :

ياالقاف يلي لبو مالك مسويك　　اطرا عليه حسن قولك ومعناك

التب لك قلبي وقلت لك لبيك　　وتفتحت بيبان صدري ولباك

أي أن الذي حثه على قول هذه القصيدة وشرح صدره لذلك هو حسن قول الشاعر الشريف بركات « أبو مالك » في قصيدته ، والمعاني التي احتوت عليها .

ولن أتابع عرض أبيات هذه القصيدة الرائعة وذلك أسوة بقصيدة الشريف بركات « أبو مالك » التي ذكرنا بعض الشواهد من أبياتها فقط دون شرح شيء من معانيها ، حتى لا نخرج عن الموضوع الرئيسي للبحث .

ولكن قبل أن نغادر هذه القصيدة « الكافية » أريد أن أورد شاهدا آخر على تحديد نسب الشريف بركات « أبو مالك » من خلال بيت شعر له علاقة بهذه القصيدة قاله الشريف فهد بن أحمد بن حامد بن محمد بن دخيل الله بن علي بن عمرو بن أبي طالب الحارثي المتوفى سنة ١٣٩٩ هـ - وقد شارف على الثمانين من عمره - إذ قال في قصيدة وجهها إلى الشريف مشهور بن علي بن الحسين الحارثي

يمدح فيها والده الشريف علي بن الحسين ويذكره أيضا بما أوصاه به والده من وصايا في القصيدة التي سبق أن ذكرنا بعضا من أبياتها، حيث قال الشريف فهد:

من نم لك نم بك من أقوال بركات   الحارثي اللي على الطيب رابي[1]

ففي هذا البيت أيضا دليل واضح على أن الشريف بركات « أبو مالك » شريف حارثي . وانظر إلى ذكر اسمه صراحة « بركات » حيث جاء في قصيدة الشريف علي بن الحسين قبل ذلك ذكر كنيته فقط « أبو مالك » .

(ب) القصيدة الحائية :

هذه القصيدة ليس لها نفس شهرة القصيدة الكافية ، حتى إنني لم أجد أحدا من الرواه يحفظها كاملة ، وإنما حفظوا تفاصيل القصة التي من أجلها نظم

---

(١) وذلك في البيت رقم (٤٤) من قصيدته التي قال في مطلعها :

غنيت لي أبيات قدام لابات   وقدام وقت النوم تم النصابي

حيث حصلت على نسخة مخطوطة من هذه القصيدة منذ عدة سنوات وهي قصيدة طويلة منها أيضا قوله :

غنا فهد أبيات في ست ساعات   ليل انتعش إجماد غنيت ما بي

ما هوطرب لكن بالساس هزات   عيا يقر الوضع بين القرابي

من يوم راح اللي علومه طريات   ساعة تزين وساعتين انقلابي

إلى أن قال :

يا ابن علي مشهور في كل حزات   من دون ربعه مثل حد الحرابي

يا أبو موفق عودك أوصى وصيات   يقول خلك دون ربعك حجابي

خلك لربعك قيف في كل الأوقات   عنهم تشيل الحمل في كل بابي

إلى آخر القصيدة التي كتبت قافيتها بحسب ما وجدته مكتوبا في الأصل . وهنا أشير إلى أن الشعر الشعبي أو النبطي ليس له قاعدة واحدة تضبط كتابته ، إذ أنه يقال باللهجة العامية ، وقد اكتفيت بالنقل دون تدخل في الأخطاء الإملائية أو اللغوية الواضحة سواء في هذه القصيدة أو في غيرها من القصائد التي وردت في هذا البحث .

الشريف بركات « أبو مالك » هذه القصيدة ويستشهدون أثناء عرضهم لها بأبيات منها .

والملفت للنظر أن الشريف بركات « أبو مالك » يصرح في مطلع هذه القصيدة بأنه حارثي النسب ، بما لا يدع شكا لأحد في ذلك حيث قال :

الحارثي رد المثايل قراحي سواة عد من مخاييل الأقراح

ونظرا لعدم توفر كامل أبيات القصيدة ـ حتى الآن ـ وارتباطها بتفاصيل المناسبة التي نظمت من أجلها ، فإني أرى ذكر هذه القصة كما رويت لي من أكثر الرواه حفظا لها .

يقول راوي الأبيات ومناسبة نظمها وهو الشريف عبد الله نور الجازاني [1] ـ أحد رواة الشعر المعدودين في المنطقة ، التقيت به منذ عدة سنوات ـ إن الشريف بركات « أبو مالك » كان له صديق من الأشراف الحرث الذين يسكنون الخرمة [2] ـ لم يذكر لي إسمه ـ أراد منه الشريف بركات أن يبقى بجواره في

---

(١) الشريف عبد الله نور الجازاني من سكان البجيدي ـ واد قرب شرائع النخل الواقعة على مسافة ٣٠ كم تقريبا شمال شرق مكة المكرمة عبر طريق السيل الموصل بين مكة المكرمة والطائف ـ التقيت به وعمره آنذاك حوالي ٩٥ سنة بعد أن سمعت عن كثرة حفظه وروايته للشعر فكتبت بعض القصائد الشعرية من روايته . وهو الذي بادرني بذكر هذه الأبيات من قصيدة الشريف بركات « أبو مالك » عندما علم أنني من الأشراف الحرث ، وذكر لي القصة والأبيات وما تم من جواب عليها من قبل الشريف الحارثي ساكن الخرمة .

وذوو جازان كما ذكرهم الشريف محمد بن منصور هم : أبناء الشريف جازان بن قايتباي بن الحسن بن محمد « أبو نمي الثاني » بعضهم يقطن وادي البجيدي شمالي جبل كبكب المشهور ، وبعضهم يسكن في سراة الطائف الغربية بوادي الشرقة وما صاقبه ، بجوار قبيلة طويرق الثقفية . قبائل الطائف ص ٤٥ ، ٥٦ ، وانظر ما وصل إلينا من أبيات هذه القصيدة ملحق (٢) .

(٢) الخرمة : يقول الجاسر : الخرمة بضم الخاء وإسكان الراء وفتح الميم وآخرها هاء بلدة يتبعها عدة قرى وهي أحد الإمارات المرتبطة بإمارة مكة المكرمة ، وهي اليوم محافظة وليست إمارة . =

وادي المضيق نظرا لظروف خاصة به أجبرته على الخروج من الخرمة ، فوافق ذلك الحارثي على طلب صديقه ، وسكن المضيق فترة من الزمن ما لبث بعدها أن ثار حنينه إلى موطنه وقومه ، فاعتذر إلى الشريف بركات عن مقامه في المضيق - لاسيما بعد تحسن ظرفه - وأخبره أنه يريد العودة إلى الخرمة وماجاورها من أرض قومه لأنه يعشق الأراضي الواسعة ولا يريد البقاء في وادي المضيق الذي تحف به الجبال من كل جانب - حيث سمي بالمضيق لأن الوادي يضيق فيه بين الجبال - .

وفعلا خرج الشريف الحارثي متوجها إلى الخرمة ، ووصل إلى أرضه وقومه ، فكتب إليه الشريف بركات « أبو مالك » هذه القصيدة الحائية يبين فيها أنه عز عليه فراق صاحبه مع أنه لا يلومه في عشقه للأرض الرحبة الواسعة التي تساعد على راحة الفكر وانسياح البال من كثرة الهواجيس . حتى أنه تمنى أن يكون واديه - وادي المضيق - بأرض واسعة أو أن تكون حوله أراض واسعة لا جبال متقاربة ليكفي جميع من يرغب في بقائهم بجواره من أصدقائه وأقاربه ، وليرتاح من لوعة فراقهم ، إذ أنه يأنس بقربهم منه ويسعده أن يتفقد أحوالهم مع بشاشة الوجه

= ويقول البلادي : إنها بلدة حجازية في وادي تربة بعد الغريف نخيلها كثير وتمرها جيد ، سكانها قبيلة سبيع يخالطهم بعض الأشراف الحسنيون .

ويقول عبد الله السبيعي : تقع الخرمة شمال شرقي مدينة الطائف وتبعد عنها مسافة ٢٣٠ كم ... ، وتحتل طرف السهل الذي يلي الحرات البركانية أو البروزات الجبلية ، والقسم الشمالي الشرقي من حوض وادي تربة ، وكذلك الشمالي الشرقي من إقليم هضاب جنوب غرب المملكة ، كما تغطي جزءا كبيرا من علية نجد .

انظر الجاسر : : حمد ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧ هـ ، جـ ١ ص ٣٩٤ ، البلادي : معجم معالم الحجاز ، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ ، جـ ٣ ص ١١٨ ، السبيعي : عبد الله سعد ، الخرمة ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض ، طبعة سنة ١٤١٤ هـ ، ص ١٥ .

وقد سبقت الإشارة إلى أن قسما من الأشراف الحرث يسكن الخرمة ولا يزالون فيها إلى وقتنا الحاضر .

وبسط الكف بالانفاق ، حيث جاء ذلك مفصلا فيما توفر لنا من أبيات القصيدة التي مطلعها :

الحـــارثي رد المثـــايل قـــراحي   ســواة عدٍ من مخـايل الأقـراح
للصاحب اللي سند الدرب ضاحي   وروح ولكن من ضـميري فلا راح

ثم أنه في بيتين بعد ذلك يوضح الشريف بركات « أبو مالك » أن صاحبه إنما غادره لأنه يرغب العيش في الأراضي الواسعة التي تشبه أرض قومه ، وأن أرض وادي المضيق لا تروق له . وهنا نجد الشاعر يقول لصاحبه إن ضاقت عليك « الديرة » أي وادي المضيق « وشح المراحي » أي قل العشب فانني رجل طلق الوجه سخي العطاء فهلا ثناك ذلك عن الرحيل وكان عوضا لك عما تهوي من الأراضي الواسعة . ثم إنه يتمنى لأجله بعد ذلك أن يكون وادي المضيق مشتملا على أرض واسعة لتكفي جميع من يريد أن يقيم عنده من أصدقائه ـ سواء من قرابته أو من غيرهم ـ فيقول :

لن ضاقت الديرة[1] وشح المراحي   تلقى رفيقٍ باسط الوجـه والراح
ويـاليـت وادينـا بأرض بـراحي   يكفي جـميع اللي نبيـهم ونرتاح

ثم إنه يشير بعد ذلك إلى مميزات الأراضي الواسعة التي يرغب صاحبه العيش فيها ، وتمنى هو أن يكون واديه في أرض مثلها ، وذلك بقوله :

يامـا حـلا الفنجـال بأرض بيـاحي   ريح العـويدي ذاعـره عقب مافاح
في ظل سرحه والركايب ضـواحي   والبـال من كثر الهـواجيس منساح
الفي مـال وصــوتوا بالفــلاحي   وشـالوا على هجن عليهـا الحلق لاح
وتنـحـروا شـيخ قليل المشـاحي   اللـي علـى ضين المـربين ذبـاح

---

(١) الديرة : بلد المنشأ الأساسي لكل إنسان ـ في عرف أهل المنطقة ـ والمقصود هنا وادي المضيق .

إلى آخر أبيات القصيدة . وهنا يلاحظ ذكر « الحلق » - جمع حلقة - وهووسم إبل الأشراف عموما - في المنطقة - ويتكون وسم ابل الاشراف الحرث من ثلاث حلقات [١].

غير أن ما أسعدني كثيرا هو أن الشريف عبدالله نور الجازاني حفظ لنا بعضا من أبيات القصيدة التي نظمها الشريف الحارثي ساكن الخرمة جوابا على قصيدة الشريف بركات « أبو مالك » مضمونها أنه وإن كان يعشق الأرض الواسعة الرحبة ويفضلها على الوديان الضيقة إلا أن وادي المضيق يمتاز - بالرغم من ضيق أرضه - بوفرة المياه واستمرار جريانها وبكثرة الزراعة حيث ينعم أهله بالرخاء وطيب العيش . وذلك مقابل أرضه التي على سعتها وكثرة مزارعها ونخيلها إلا أنها تتعرض أحيانا للجفاف عندما تقل الأمطار ولا يسيل وادي أرضهم - الفحل - فيؤثر ذلك على منسوب المياه في الآبار وبالتالي على الزراعة والمحصول . فأرضه تتأثر سريعا أكثر من غيرها من المناطق التي تجري فيها عيون ثره دائمة الجريان صيفا وشتاء ، حيث قال الشريف الحارثي في بعض ما وصل إلينا من قصيدته :

وانته يا أبو مالك كسبت الرباحي	بردان تسقي وراعي الزرع مرتاح
لك وجبه[٢] تلبسك زين الوشاحي	تكرم رفيقك والخطاطير سياح
وتنضب تصب لو كان ماها شحاحي	اشوى من اللي يرقب السيل نطاح
مرة يسيل ومرة ما يلاحي	لكن ربك قد تكفل بالأرواح

(١) وهناك ما يعرف بالشاهد يختم مع الوسم لكي يفرق كل أبناء قبيلة من الأشراف بين إبلهم .

(٢) الوجبه : مصطلح محلي يطلق على مقدار حصة من ماء العين - في عرف أهل المنطقة آنذاك - مدة جريانها أثنتا عشرة ساعة . وفي المناطق التي تجري فيها العيون تقسم حصصا بين ملاكها بواسطة مشرفين على هذا التقسيم يتقاضون أجرهم من أصحاب هذه الحصص ، حيث يقومون بتقدير ما يخص صاحب كل حصة من الماء بدقة ونظام . وهناك أجزاء أكبر من الوجبة وهي اليوم واليومان ، وأجزاء أصغر هي الساعة ونصف الساعة وربع الساعة أو حساب ذلك بالدقائق عشرون دقيقة أو عشر دقائق وغير ذلك .

وبعد ذكرنا لقصة قصيدة الشريف بركات « الحائية » وبعض الشواهد من أبياتها ، وبعض أبيات القصيدة الجوابية للشريف الحارثي ساكن الخرمة نعود مرة أخرى إلى قصيدة الشريف بركات التي فيها دليل واضح على أنه حارثي النسب حيث استهلها بقوله : « الحارثي رد المثايل قراحي » .

ثم إن هناك دلالة على أنه يسكن في واد ضيق - وهو كما أسلفنا وادي المضيق الذي يضيق بين الجبال هناك في وادي نخلة الشامية - وهذا يتضح من قوله: « لن ضاقت الديرة وشح المراحي»، وقوله: « ويا ليت وادينا بأرض براحي » . ثم إشارته إلى وسم الإبل الذي كان عبارة عن « الحلق » وهو وسم إبل الأشراف في المنطقة أي أنه شريف ، وحارثي كما صرح في مطلع القصيدة ، وأنه يسكن في وادٍ ضيق هو وادي المضيق .

ثم لنقف عند ما حفظ من أبيات قصيدة الشريف الحارثي ساكن الخرمة التي فيها أدلة أخرى نتعرف من خلالها على موقع الوادي الذي سكنه « أبو مالك » . كما جاء فيها ذكر كنية الشريف بركات صراحة في تلك الأبيات . وجاء ذكر عين « بردان » - عين المضيق - وكذلك عين « تنضب » وكلاهما في أعلى وادي المضيق أو وادي الليمون أو ما كان يعرف قديما بوادي نخلة الشامية حيث قال :

وانته ياأبو مالك كسبت الرباحي	بردان تسقي وراعي الزرع مرتاح
لك وجبه تلبسك زين الوشاحي	تكرم رفيقك والخطاطير سياح
وتنضب تصب لو كان ماها شحاحي	اشوى من اللي يرقب السيل نطاح

فقد عرف ياقوت (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) البردان بقوله : « البردان .. عين بأعلى نخلة الشامية من أرض تهامة وبها عينان البردان وتنضب » [1] .

---

(١) معجم البلدان ، طبعه دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٩٧ هـ ، جـ ١ ص ٣٧٦ .

فحدد موقع عين البردان بأنها في أعلى نخلة الشامية وجاء عرضا تحديد موقع عين تنضب في أعلى نخلة الشامية أيضا . وهذا هو التحديد الصائب لموقع العينين . ذلك أن عين البردان تقع في أعلى وادي نخلة الشامية أو وادي المضيق على يمين الصاعد إلى أعلى الوادي (١) ، وفي الناحية المقابلة لها تقريبا ـ في موضع أعلى ـ تقع عين تنضب على يسار الصاعد إلى أعلى الوادي (٢) . أي أن مجرى الوادي يفصل بين موقع العينين .

---

(١) البردان : يقول البلادي : تعرف اليوم بعين المضيق لوقوعها في مضيق نخلة . ثم يصف البلادي عين المضيق بأنها عين ثرة تسقي على جانبي الوادي يملكها الأشراف الحرث وأناس من هذيل . وقد نسب وادي نخلة لها فسمي وادي المضيق . ويفهم من رواية البلادي لتعريف ياقوت بأن البردان عين تقع بأعلى نخلة الشامية ، أنه يوافقه في ذلك . وهذا هو عين الصواب . وانظر قول ابن بليهد :

المضيق : هي الموضع المعروف على طريق نجد في نخلة الشامية مشهورة بهذا الاسم يقال لها عين المضيق وهي التي يقول فيها شاعر من شعراء النبط .

كبدي يا كبدي سلبها حريق	يامراهيش الأمزان رشنها
والله إن لونجي العين عين المضيق	خمسة أيام ماظن يطفنها

وهذه العين تملكها قبيلة الحرث من الأشراف وأميرهم في هذا العهد ـ عهد ابن بليهد ـ علي بن الحسين الحارثي . البلادي : معجم معالم الحجاز ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، طبعة سنة ١٣٩٨ هـ ، جـ ١ ص ٢٠١ . أيضا طبعة دار مكة للنشر والتوزيع ، سنة ١٤٠٢ هـ ، جـ ٢ ص ١٨٠ ، ابن بليهد : صحيح الأخبار ، جـ ٥ ص ٩٩ ، وانظر ملحق (٣) .

(٢) تنضب : ذكرها « ياقوت » عند حديثه عن البردان حيث قال : « البردان عين بأعلى نخلة الشامية من أرض تهامة بها عينان البردان وتنضب » وقال في موضع آخر : « تنضب : بالفتح ثم السكون وضم الضاد المعجمة والباء الموحدة قرية من أعمال مكة بأعلى نخلة فيها عين جارية ونخل » انتهى فتحديد ياقوت لعين تنضب بأنها في أعلى وادي نخلة أمر في غاية الصواب . فتنضب عين تقع على يسار الصاعد إلى أعلى وادي المضيق في منطقة تقابل تقريبا عين البردان ـ في موضع أعلى ـ يفصل بينهما مجرى الوادي . انظر ملحق (٣) .

أما القرية التي ذكر ياقوت أنها تسمى تنضب فيها عين جارية ونخل فربما كانت هي نفس عين تنضب التي ذكرها مع البردان أو أنها موضع آخر فمعلوم أن اسماء الأماكن والجبال والأنهار والعيون تتكرر في مواقع مختلفة . =

وقد كانت عين تنضب تسقي جزءا يسيرا من الجانب الأيسر للصاعد إلى أعلى وادي المضيق ذلك أنها كانت قليلة المياه ثم أهملت حتى اندثرت واستغنى

= غير أن موضع قرية تنضب التي ذكر ياقوت أنها تقع في أعلى وادي نخلة - وادي المضيق - نفى البلادي أن يكون تحديد ياقوت لها صحيحا حيث قال : « أما تنضب فتعرف اليوم التنضب .. الصحيح أنها ليست بأعلى نخلة وإنما هي بعد اجتماع النخلتين قرية عامرة تدعى التنضب لبني مسعود من هذيل والأشراف وبني عمير من هذيل أيضا . فهي قرية بوادي الزبارة من مر الظهران . انتهى كلام البلادي .
فالبلادي ذكر تنضب التي في وادي الزبارة ولم يشر بعد ذلك إلى وجود عين أخرى في أعلى وادي نخلة - وادي المضيق - تسمى تنضب أيضا . ألا ترى أن « ياقوت » نبه إلى ذلك عند ذكره لعين البردان - كما أسلفنا - وقبله نجد « الحربي » في المناسك عند حديثه عن طريق حاج العراق الذي يمر وادي نخلة متجها إلى مكة المكرمة . يقول : « والتنضب بعد خيف السلام متصل به ثم البردان على ميلين من البستان - يقصد بستان ابن عامر - بها قصور للسلطان وعين تجري » . ثم يذكر بعد ذلك من المواضع اللوية وبعدها سوله وكلها مواضع متتالية على طريق حاج العراق عند توجههم إلى مكة المكرمة . أي أن عين تنضب في أعلى وادي نخلة - وادي المضيق - ثم تأتي بعدها عين البردان ثم اللويه ثم سوله كل ذلك في طريق حاج العراق إلى مكة أي أن تحديد ياقوت هو الصواب علما أن سكان وادي المضيق يعرفون موضع عين تنضب كما يعرفون موضع عين البردان - وفق ما حددناه سابقا -
وليس هذا فحسب بل انظر عز الدين ابن فهد - الذي نقل عن الفاسي في العقد الثمين - عند ذكره لأعمال الشريف قتادة أمير مكة - من سنة ٥٩٨ هـ حتى سنة ٦١٧ هـ - التي أنشأها في وادي نخلة - وادي المضيق - قال : « ومما صنع قتادة أيام ولايته على مكة ... وبلغني أن الذي بوادي نخلة الشامية فيما بين التنضب وبشرا بناء على هيئة الدرب في مسيل الوادي ليمكس عنده حجاج العراق وآثار هذا البناء باقية إلى الآن ... » انتهى كلام ابن فهد .
وهذا يدل على أن التنضب - أو تنضب - عين في أعلى نخلة أيضا وبشرا مزرعة معروفة أيضا تقع في أسفل الوادي تقريبا ، وبعض آثار هذا البناء بين الموضعين باقية أيضا إلى اليوم . انظر ملحق (٣) .
انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ص ٣٦٧ ، وطبعة دار صادر ودار بيروت سنة ١٤٠٤ هـ ، جـ ٢ ص ٤٩ ، الحربي : أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق توفي سنة ٢٨٥ هـ ، كتاب المناسك ، تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هـ ، ص ٣٥٤ ، عز الدين ابن فهد : غاية المرام ، جـ ١ ص ٥٧٦ ، البلادي : معجم البلدان ، طبعة نادي الطائف الأدبي سنة ١٣٩٨ هـ جـ ١ ص ٢٠١ ، وطبعة دار مكة سنة ١٣٩٩ هـ ، جـ ٢ ص ٤٣ ، جـ ٣ ص ١٨٦ .

سكان المنطقة عنها بعين البردان التي كانت غزيرة ثره تسقي على جانبي الوادي عبر قنوات خاصة يعبر الماء من فوقها قاطعا عرض الوادي .

خلاصة القول أن الشريف بركات « أبو مالك » هو من سكان وادي المضيق من الأشراف الحرث ، وأنه كان يملك حصة من ماء عينها « البردان » ـ عين المضيق ـ تقدر باثنتي عشرة ساعة من الماء أسبوعيا [1] ـ على عرف أهل المنطقة ـ عبر عنها الشاعر بقوله :

« لك وجبة .. » وفي ذلك دليل آخر على أن الشريف بركات كان يعيش عيشة طيبة كريمة ، ذلك أن من يعرف أحوال الزراعة في وادي المضيق وما تمتاز به أرضه من خصوبة وجودة إنتاج يدرك أن من يملك هذا المقدار من الماء تكون حاله حسنة حيث أن من يملك حصة كبيرة من الماء يملك في المقابل أراض زراعية واسعة لأن الماء لا يملك في الغالب دون أرض يسقيها تكثر وتقل بحسب كمية هذا الماء الذي يحتاجه لزراعتها ، ولا يملك الماء فقط دون أرض إلا في حالات خاصة حيث تخصص بعض الحصص القليلة لأعمال الخير من سقيا للناس ودوابهم وغير ذلك .

ومن هنا أشار الشاعر إلى أن من يملك « وجبة » من عين البردان ـ عين المضيق ـ يعيش عيشة طيبة ، يلبس أفخر الثياب ويكرم « رفيقه » ـ صاحبه وقريبه ـ و « الخطاطير » ـ ضيوفه ـ وحاله أفضل من ذلك الذي يعيش في أرض « يرقب »

---

(١) كانت حصص الماء تقسم في وادي المضيق حسب وقت محدد يخص كل مالك حصة ، حيث تصله حصته في كل أسبوع مرة واحدة تسقي زرعه وذلك في أغلب فصول السنة ، أما في فصل الشتاء فإن موعد هذه الحصة يتأخر إلى أربعة عشر يوما لعدم حاجة الزرع للمياه الكثيرة ، والفائض يصرف في مجرى الوادي إذ لا حاجة إليه .

ويطالع نزول المطر وجريان سيل الوادي الذي ربما تأخر عن موعده فأثر على المحصول الزراعي أو ربما لا يسيل أصلا فيؤدي ذلك إلى القحط والجدب [١] .

إن نظرة عاجلة إلى بعض المصادر - لا نريد منها الاستقصاء لجميع أخبار وادي المضيق - وادي الليمون أو ما كان يعرف بوادي نخلة الشامية - تدلنا على أن هذا الوادي كان غنيا بزراعته وأن أهله الذين بنوا مساكنهم في أحضان الجبال التي يصل ارتفاع بعضها إلى ثلاثة أدوار [٢] كانوا يعيشون في قرية أشبه بمدينة صغيرة تعتبر في ذلك الوقت مقارنة بغيرها من قرى المنطقة من أكثرها إنماء . وقد زاد من حيويتها أن كان يمر بها طريق حاج القسم الشمالي من نجد وحاج والعراق [٣] .

---

(١) ليس معنى ذلك أن الخرمة منطقة غير خصبة وهي كما أسلفنا تشتهر بزراعة النخيل وانتاج التمور ومعلوم أن التمر غذاء مهم لسكان الجزيرة العربية عموما ، ولكن تأخر الأمطار أو انقطاعها وعدم جريان وادي الخرمة - وادي تربة - يؤثر على الزراعة .

(٢) انظر ملحق (٣) .

(٣) يقول ابن بليهد : فأما نخلة الشامية النافذة إلى ذات عرق فيسلكها حاج العراق وحاج القسم الشمالي من نجد . صحيح الأخبار ، جـ ١ ص ٣٥ .

انظر أيضا عز الدين ابن فهد حيث يقول : « ومما صنع قتادة أيام ولايته على مكة- من ٥٩٨ هـ إلى ٦١٧ هـ - أنه بنى عليها سورا من أعلاها - على ما بلغني - وأظنه سورها الموجود اليوم - أي أيام تقي الدين الفاسي الذي ينقل عنه ابن فهد - وبلغني أن الذي بواد نخلة الشامية فيما بين التنضب وبشر - الصواب بشرا - بناء على هيئة ا لدرب في مسيل الوادي ليمكس عنده حاج العراق وآثار هذا البناء فيه إلى الآن . وأنه بنى على الجبل بأسفل السبط - الصواب البسيط - من وادي نخلة المذكور مصبا على جبل يقال له العطشان ، وآثار ذلك باقية إلى الآن - نقله عن الفاسي : العقد الثمين - عز الدين ابن فهد : غاية المرام ، جـ ١ ص ٥٧٦ - ٥٧٧ .

أقول أن هذا البناء الذي على هيئة ا لدرب توجد منه أجزاء إلى وقتنا الحاضر في وداي نخلة - المضيق - فيما بين التنضب وبشرا كما ذكر ابن فهد نقلا عن الفاسي . أحدهما قرب بشرا وهي تعرف بهذا الاسم إلى اليوم - اسم أرض زراعية هناك تقع في أسفل الوادي تقريبا على يمين الصاعد إلى أعلى الوادي - انظر ملحق (٣) - ويوجد جزء آخر لهذا البناء في وسط الوادي تقريبا قرب جبل البسيط المسمى =

لقد كان وادي المضيق - وادي نخلة الشامية - من بين المصادر الزراعية المهمة التي يعتمد عليها سكان مكة المكرمة . فعندما ذكر ابن جبير (المتوفى سنة ٦١٤هـ) مجموعة من الفواكه التي ترد إلى مكة المكرمة قال : « وهذه الفواكه تجلب إليها - يقصد إلى مكة المكرمة - من الطائف .. ومن بطن مر [١] .. ومن نخلة » [٢].

ويصف الموسوي المكي (المتوفى سنة ١١٨٠ هـ) وادي المضيق عندما زاره في سنة ١١٣١ هـ بقوله : « فلما أسفر صبح ثاني وعشرين من ذي الحجة الحرام عام ألف ومائة واحدى وثلاثين من هجرة خير الأنام رحلنا من الأبطح[٣] بعون

= بالثدي وبالقرب منه مباشرة جبل العطشان يوجد عليه حصن ضخم قديم البناء ، ويقع البناء الذي قرب البسيط على يمين الصاعد إلى أعلى ا لوادي أيضا . انظر ملحق (٣) ..

فالذي بقي من آثار هذا البناء على هيئة الدرب يوجد فيما بين عين التنضب بأعلى وادي المضيق - وهذه العين تقع على يسار الصاعد إلى أعلى الوادي وبين أرض زراعية تعرف ببشرا تقع في أسفل الوادي تقريبا على يمين الصاعد إلى أعلى المضيق . أي أن هذين البناءين يقعان على يمين ا لصاعد إلى أعلى وادي المضيق فيما بين التنضب في أعلى الوادي وبين بشرا في أسفل الوادي . وهما المقصودان بقول ابن فهد المنقول عن الفاسي . ولم يقل مثلا أن البناء بين البردان وبشرا ، لأن المسافة بين بشرا وتنضب أكثر منها بين بشرا والبردان . فحدد بين هذين الموضعين لأنه كانت توجد آثار لهذا البناء أعلى البردان ولكن السيول الجارفة وطول العهد أتى على معظمها وبعضها سقط في مجرى الوادي ودفن في أرضه .

(١) مر : هو وادي مر الظهران واد مشهور يأخذ أعلى روافده من المنحدرات الشرقية لجبل كرا ويستمر عبر وديان عدة حتى يصل إلى وادي فاطمة المشهور أو كما تسميه البادية وادي الشريف ثم يستمر حتى يفيض في البحر الأحمر جنوب جدة ، طوله قرابة ١٨٠ كم . انظر البلادي : عاتق بن غيث ، أودية مكة المكرمة ، دار مكة لنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ ، ص ٢٤ .

(٢) ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير الكناني توفي سنة ٦١٤ هـ ، رحلة ابن جبير ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان سنة ١٣٨٤ هـ ، ص ٩٩ .

(٣) الأبطح : بالفتح ثم السكون وفتح الطاء مهملة - اسم موضع - يضاف إلى مكة وإلى منى لأن المسافة بينه وبينهما واحدة وربما كان إلى منى أقرب وهو المحصب وهو خيف بني كنانة .

ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت ، طبعة سنة ١٤٠٤ هـ ، جـ ١ ص ٧٤ .

المعين في الشدة والضيق وسرنا إلى وادي المضيق ، فأنخنا به العيس في ساعة التعريس [1].

سقاك الله يا وادي المضيق ... حياء في المساء وفي الشروق
فإنك جالب الأفراح حقا ... ومؤنس كل ذي كرب وضيق
زهورك قد سكرنا من شذاها ... فواشوقي لوردك والشقيق

واد حفت به الأشجار بأنواع الثمار وألوان الأزهار ،وغنت عليها صنوف الأطيار ما بين شحرور وقمري وبلبل وهزار وأشرقت فيه شموس الضحى وطلعت به الأقمار ، كأنه جنة عدن تجري من تحتها الأنهار ، فأقمنا به يوما وليلة ونحن في أنس وسرور وغبطة وحبور سالمين من طوارق الدهر لم ندر فيه عن زيد ولا عمر .

لا تفوت لذة قد أمكنت ... إنما الدهر سريع النقم »[2]

أما إبراهيم رفعت (المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ) فقد وصف وادي المضيق أو وادي الليمون كما أسماه[3] . وذلك في أثناء رحلته سنة ١٣١٨ هـ حيث قال : « وصلنا وادي الليمون في السابعة والربع .. ويحتوي هذا الوادي على بيوت في أحضان الجبال[4] وحدائق ذات بهجة بها النخيل والليمون والبطيخ والخيار والبامية والقطن الذي يرتفع نحو مترين وفتله كالحرير . ولبعض الحدائق أسوار بنيت من

---

(١) التعريس : من أعرس القوم أي نزلوا في آخر الليل للاستراحة . انظر الفيروزآبادي : مجد الدين بن محمد المتوفي سنة ٨١٧ هـ ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ ، ص ٧١٨ .

(٢) الموسوي المكي : العباس بن علي بن نور الدين الحسيني الموسوي المكي ، توفي سنة ١١٨٠ هـ ، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ، نشر مكتبة المعارف ، الطائف ، بدون ، جـ ١ ص ٥٦ .

(٣) سبقت الإشارة إلى أن وادي نخلة الشامية يعرف اليوم بوادي المضيق ـ وهو المشهور ـ وبوادي الليمون لكثرة إنتاجه لليمون . انظر الموضوع المخصص للحديث عن موطن الشريف بركات ـ من البحث ـ .

(٤) انظر ملحق (٣) .

الحجارة الصماء ذات اللون الأزرق والحجم الكبير غير أنها متهدمة[١] . وتوجد بها آثار أبنية قديمة[٢] تدل على أنه كان لهذه الجهة شأن في سالف العصر .

وبهذا الوادي قناة بنيت بالحجارة والملاط المتماسك عمقها ثلاثة أرباع المتر وعرضها ستة أعشاره وعمق الماء في قاعها خمسون سنتيا . وماؤها عذب فرات صاف كأنه مقطر يجري ليلا ونهارا صيفا وشتاء ، ولكنه ينتهي في الآخر إلى الصحاري حيث تستشفه ولا تشكره بالانبات . فلو أنه حول حيث ينبت الزرع والأشجار لأجدى ذلك عظيم الأجداء . وهذه القناة تسير نحو الشرق[٣] في سفح الجبل على مدى بعيد قطعناه في نصف ساعة ، وجزء كبير من أبنيتها متهدم .

وبوادي الليمون سوق باعته من مكة فيه اللحوم والأرز مطبوخة وغير مطبوخة وبه الخيار والقثاء والبطيخ والكراث والعيش والجبن والبصل الأخضر والجاف والإبل والغنم وغير ذلك أزواجا شتى » [٤].

مما سبق يتضح لنا جليا أن الشريف بركات « أبو مالك » هو شريف حسني نموي حارثي ، كان يعيش - تقريبا - خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة حيث عاصر من أمراء مكة آنذاك الشريف سرور بن مساعد - تولى الإمارة من سنة ١١٨٦ هـ إلى سنة ١٢٠٢ هـ - الذي قامت فيما بينه وبين الشريف عبد الله الفعر خلافات ابتدأت من

---

(١) انظر ملحق (٣) .

(٢) انظر ملحق (٣) .

(٣) يقصد هنا سير اتجاه قناة العين إلى أصول منابعها لا سير اتجاه جريان ماء العين الذي يجري مع انحدار الوادي المتعرج تارة في اتجاه الغرب وأخرى في اتجاه الجنوب . وهكذا .

(٤) إبراهيم رفعت : إبراهيم رفعت باشا المليجي المتوفي سنة ١٣٥٣ هـ ، مرآة الحرمين ، بدون ، جـ ١ ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

سنة ١١٨٧ هـ وانتهت بسجن الشريف عبد الله الفعر والتضييق عليه حتى مات أو قتل خنقا في سنة ١١٨٩ هـ .

كما أن الشريف بركات « أبو مالك » كان يسكن في وادي المضيق - وادي الليمون أوما يعرف قديما بوادي نخلة الشامية - وإن كانت في الغالب تربطه علاقات بأمراء مكة المكرمة آنذاك تقوى وتضعف حسب ظروف كل وقت ويرجح أنه كان يعيش عيشة كريمة طيبة إذ كان يملك حصة كبيرة من ماء عين البردان - عين المضيق - تقدر باثنتي عشرة ساعة أسبوعيا ، مما يدلنا أيضا على أنه كان يملك أراض زراعية واسعة تسقيها هذه الكمية من المياه .

له وقف خيري مشهور في وادي المضيق مقداره نصف ساعة من ماء عين المضيق أسبوعيا يصب في صهريج ضخم بناه تحت الأرض . يقع في أسفل الجبل الذي كان يسكنه ذوو طالب بن الحسن الحارثي - قومه الذين ينتسب إليهم - قرب المقبرة التي في شعب نباته .

لم يبق من عقب الشريف بركات من الذكور أحد بعد وفاة ابنه « مالك » الذي أعقب ابنة اسمها موضي تزوجها الشريف الحسين بن محمد الحارثي وأنجبت له ابنين هما « محمد » و « حمود » ولكل واحد منهما أبناء وحفدة . وتجدر الإشارة إلى أنه بانقطاع نسل مالك بن الشريف بركات فإن الفرع الذي ينتمي إليه الشريف بركات وهم ذوي مالك بن أبي طالب درج ولم يبق لهم عقب .

وصل إلينا من شعره معظم القصيدة « الكافية » المشهورة وبعضا من القصيدة « الحائية » ، نستدل من خلالهما على كريم أخلاقه ونبل صفاته .

ثانيا :

التعليق على بعض الآراء

بعد عرضنا للحقائق السابقة التي عرفنا من خلالها أن الشريف بركات « أبو مالك » شريف حسني نموي حارثي . قد لا يهم القارئ كثيرا عرضنا لآراء بعض من كتب عن شخصية الشريف بركات وما نخلص إليه من نتائج بعد مناقشتنا لها .

غير أنني رأيت إكمالا للفائدة أن أورد بعض هذه الآراء وأعلق عليها ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، حتى يطلع عليها من لم تتح له فرصة قراءتها من قبل ، وليدرك أسباب عرضي للمعلومات التفصيلية التي تضمنها القسم الخاص بشخصية الشريف بركات « أبو مالك » .

وإنني أرغب إلى أصحاب هذه الآراء - قبل مناقشتي لها - أن تكون لديهم رحابة صدر ، لأنني وإياهم نبحث عن الحق والصواب .

١ - أورد الأستاذ الكبير محمد سعيد كمال - رحمه الله - في كتابه الأزهار النادية ترجمة مختصرة للشريف بركات قال فيها « الشريف بركات بن عبدالمطلب من شعراء أواخر القرن العاشر وأوائل الحادي عشر - يقصد للهجرة - فهو من أشراف مكة » (١) .

ويلاحظ هنا أن الأستاذ محمد سعيد كمال ذكر أن والد الشريف بركات اسمه عبدالمطلب ، والصواب أن اسمه محمد بن مالك بن أبي طالب ، وذلك كما أثبتناه سابقاً نقلاً عن بعض حفدته .

أما تحديده للفترة التاريخية التي عاش فيها الشريف بركات بأواخر القرن العاشر وأوائل الحادي عشر - للهجرة - فإنه سبق أن ذكرنا أن الفترة التي عاش فيها الشريف بركات « أبو مالك » يرجح أن تكون خلال النصف الثاني من القرن

---

(١) كمال : محمد سعيد ، الأزهار النادية من أشعار البادية ، الناشر مكتبة المعارف الطائف ، الطبعة السادسة ، بدون جـ ١ ص ٧٩ .

الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة . وقد استدللنا على ذلك بشواهد من أبيات قصيدته « الكافية » المشهورة .

علما أن الأستاذ محمد سعيد كمال عندما علق في الهامش الخاص بالبيت الذي يوجه فيه الشريف بركات ابنه بقوله :

واعرف ترى اللي وطا الفعر واطيك ولا أنت أعز من الجماعة هذولاك

قال : « الفعر من أشراف وادي لية قتله الشريف سرور شر قتلة » (١) .

ومعلوم أن الشريف سرور بن مساعد تولى إمارة مكة من سنة ١١٨٦ هـ وحتى سنة ١٢٠٢ هـ أي أن فترة حكمه امتدت خلال السنوات الأربع عشرة الأخيرة من القرن الثاني عشر والسنتين الأوليين من القرن الثالث عشر للهجرة .

والخلافات التي قامت بين الشريف سرور - وهو آنذاك أمير مكة - والشريف عبد الله الفعر بدأت من سنة ١١٨٧ هـ وانتهت في سنة ١١٨٩ هـ بموت أو مقتل الشريف عبد الله الفعر في السجن بينبع « مضيقا عليه » كما سبقت الإشارة إلى ذلك أو كما ذكر الأستاذ محمد سعيد كمال أن الشريف سرور قتله شر قتلة .

وعليه فإن واقعة حدثت في أواخر القرن الثاني عشر الهجري لا يمكن أن يخبر عنها من عاش قبلها بقرنين من الزمن تقريبا .

٢ - ألف الأستاذ أحمد فهد العريفي كتابا أسماه « الشريف بركات ؟ ! » (٢) جاء فيه بآراء وتحليلات استنتج منها أن الشريف بركات الشاعر المشهور « هو بركات بن مبارك بن مطلب بن حيدر بن المحسن بن محمد بن فلاح المشعشعي ، أحد أمراء دولة المشعشعين التي امتد حكمها خمسة قرون من الزمان في اقليم عربستان »(٣).

---

(١) الأزهار النادية ، جـ ١ ص ٨٣ .

(٢) طبع في مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ .

(٣) العريفي : الشريف بركات ص ١١ . =

والحقيقة أن بركات هذا اسمه الصحيح « بركة » [١] كما أنه ليس له ابن اسمه « مالك » وإنما له ابنان هما طالب وفرج الله [٢]. أي أنه شخص آخر غير الشريف بركات « أبو مالك » صاحب القصيدة « الكافية » المشهورة .

وهذا اللبس جعل من قام بالتعليق على كتاب العريفي يظن أنه قد أخطأ في استنتاجاته ، ذلك أن لديهم قناعة تامة أن الشريف بركات « أبو مالك » من أشراف مكة المكرمة وما يتبعها إداريا آنذاك وهم على حق .

غير أن العريفي أثبت لبركة المشعشعي أو بركات - كما اشتهر بذلك - بعض القصائد التي قالها[٣] وبعض المدائح التي قيلت فيه[٤] والمحاورات التي دارت

= وعربستان أو اقليم خوزستان ، يقول كي لسترنج : « يتألف خوزستان من الأرض الرسوبية التي كونها نهر كارون وروافده الكثيرة ، وقد عرف العرب نهر كارون باسم دجيل الأهواز .. تصغير دجلة . ومعنى خوزستان بلاد الخوز ويكتب هذا الاسم أيضا بصورة خوز أو هوز .. وتسمية هذا الإقليم بخوزستان اليوم بطلت وصارت هذه الولاية التابعة لبلاد فارس تسمى عربستان أي إقليم العرب » . بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ هـ ، ص ٢٦٧ .

(١) الاسم الصحيح لبركات المشعشعي هو بركة وإنما حاول العريفي أن يربط بين ما اشتهر من اسمه - عند نسبة القصائد إليه - وبين حقيقة اسمه ، انظر مؤلفه عن الشريف بركات ص ٢٣ ، ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٣١، ٦٠ وغير ذلك .

(٢) انظر العريفي : الشريف بركات ، ص ٤٦ ، ٦٠ .

(٣) من هذه القصائد القصيد التي طلعها :

عفا الله عن عين للاغضا محاربه ... وجسم دنيف زايد الهم شاعبه

والقصيدة التي مطلعها :

قال بركات الحسيني والذي لـه ... جـواد ما تدنـى للمبيعـه

والأبيات التي منها قوله :

ومع ذا تعريفين أصلي وفصلي ... أنا من روس روس بني حسينـا

والأبيات التي منها قوله :

على لاما غضي الطرف عندل ... طويل الحيـد أزج الحاجبينـي !

انظر العريفي : الشريف بركات ، ص ٦، ٧، ٢٥، ٢٦، ٢٩-٣١ ، ٥٤ ، ٦٨ .

(٤) من هذه المدائح قصيدة للشعبي أو « الشعيبي » منها قوله : =

فيما بينه وبين بعض الشعراء المعاصرين له [١] .

وعندما تعرض العريفي للقصيدة « الكافية » المشهورة والقصيدة « الحائية » اللتين سبق أن أثبتنا صحة نسبتهما للشريف بركات « أبو مالك » نفى العريفي أن تكون هاتان القصيدتان لبركة « بركات » المشعشعي ، وإليك نص ما قاله العريفي تحت عنوان « قصائد نسبت إليه وليست من شعره : الكافية من أشهر القصائد المنسوبة للشريف بركات ، القصيدة الكافية والتي منها :

يا مـرقب بالصـبح ظليت أباديك   مـا واحـد قـبلي خـبـرته تعـلاك
وليت يا ذا الدهر مـا كـثر بلاويك   الله يزودنـا السـلامـة من أتلاك
يلي على العربـان عـمت شكاويك   وليت يـا دهر الخطا ول مـا أقـواك

= تلقى الحسيني والوجوه عوابس   يحضى وطيس حياض حامي الجحفلي

وقصيدة له ايضا منها قوله :

بكر عن أوبـاش الملا مصيونـه   أمست بعرضك يالحسينـي تهذلـي

وقصيدة له أيضا منها قوله :

ملك مضيفه لم يزل مد البقـاء   لجميـع وفـاد البريـة مقصـدا

وقصيدة للشاعر عامر السمين منها قوله :

وإن كان مدح الخيرين بـه رجـا   فمدحك يا تـاج الملـوك ارجالـي

وقصيدة للشاعر ابن مقرب ـ من الشعر الزجل ـ منها قوله :

مطية الشوق جدي بالسرى وامضي   وسأبقـى فـي مسيرك لمعـة الومـض

انظر العريفي : الشريف بركات ، ص ٦ ، ٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٤٦ ، ٧٧ ـ ٨٠ ، ٨٤ ـ ٨٦ ، ٨٧ ـ ٨٩ .

(١) من المحاورات أن عبدا مملوكا قال له :

إذا جئت في بلاد قوم غريب   فاقعد مقعد الرجل الأذلي

فأجابه الشريف بركة « بركات » بقوله :

إذا جئت في بلاد قوم غريب   فاقعد مقعد الرجل الأجل

أيضا قوله محاورا الشعبي أو الشعيبي : =

ولو تمعنا في هذه القصيدة لعرفنا أنها لغير بركات المترجم له في هذا الكتاب ـ أي كتاب العريفي ـ للأسباب التالية :

أ ـ ورد ذكر « الفعر » في القصيدة لما قال :

وأعرف ترى ما قد وطا الفعر واطيك   ولا أنت أعز من الجماعة هذولاك

وإن كان الاسم صحف في بعض الروايات إلى الفهر [1] ، ولكن ماجد المطيري أكد صحته لما علق على البيت بقوله : الفعر رجل من الأشراف سجنه شريف مكة حتى مات . ويقال أن الذي سجنه الدولة العثمانية وكان ذلك في اسطنبول .

والفعور كما هو معروف أسرة شهيرة من الأشراف ، اكتسبت هذا اللقب منذ أحمد الفعر بن زين العابدين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي . ويقول

= يا ذيب من أين هديتنا واقديتنا   وحنا ورا الشطين غربي الحدب

فرد عليه الشعبي أو الشعيبي :

لا والله إلا طايل وبراسه   مذروبه الحدين تشدي للثغب

وقول الشريف بركة « بركات » لابنه :

إذا بلغ الفتى عشرين عاما   وخط له شارب أسودا

فأجابه الشعبي أو الشعيبي :

إذا صار ما تجفل الخيل من حسه   تراه كل عام يزود بردا

انظر العريفي : الشريف بركات ، ص ٣٥ ، ٣٩ .

(١) وعن اشتهار هذا البيت بذكر اسم الفهر بدلا من الفعر انظر أيضا عبد الله آل نوري الذي أخطأ كذلك في تحديد عصر الشاعر حيث يقول :

« أعرف ترى اللي واطي الفهر واطيك   ولا أنت بأعز من الجماعة هذولاك

قال هذا البيت الشريف بركات وهو من شعراء القرن الحادي عشر الهجري المجيدين ، ومن أشراف مكة ويتصل نسبه بآل البيت من قصيدة طويلة نصح بها ابنه .. الفهر : أحد شجعان العرب .. إلخ » الأمثال الدارجة في الكويت ، مطبعة قلفاط ، بيروت ، اصدار مكتبة دار أعلام الفكر ، بدون ، جـ ١ ص ٣٢ .

بعضهم الملقب بالفعر هو عبد الله بن الحسن بن أبي نمي ، وفي رأيي أن الأرجح أن يكون الفعر أحمد ابن عبد الله لأن اللقب وقع على ذريته دون سائر ذرية عبد الله بن الحسن المعروفون بالعبادلة [1] .

وسواء كان هذا أو ذاك فليس الفعر المذكور في القصيدة أي واحد منهما ، لأن الأول قتل كما يروي العصامي في وقعة الظفير سنة ١٠٨٠ هـ ، وأما الثاني فقد توفي وفاة طبيعية سنة ١٠٤١ هـ !

ولو كان الفعر المذكور في القصيدة ابنا للأول (أحمد زين العابدين) وكان سن أحمد يوم قتل خمسين سنة بالنظر إلى أنه شارك في الوقعة وكان فيما يبدو لازال يتمتع بقوته فهذا يعني أن أحمد ولد حوالي سنة ١٠٣٠ هـ أي بعد وفاة بركات المشعشعي بزمن . !

هذا عن أحمد وإذا أضفنا ثلاثين سنة أخرى من عمره فسيكون ابنه إذا كان هو المقصود ممن ولد حوالي سنة ١٠٦٠ هـ ! أي بعد وفاة بركات بثلاثة عقود !

مع العلم أن التاريخ السابق هوتاريخ ولادته ولم نصل بعد إلى التاريخ الذي دخل فيه السجن والذي مات فيه . !

ب ـ جو القصيدة العام يوحي بأن قائل القصيدة من أقرباء أسرة الأشراف في مكة المكرمة فهو يقول :

واعرف ترى مكة ولاها بناخيك لو تطلبه خمسة دواوين ما أعطاك

وفي رواية أخرى : خمسة ملاليم .

---

(١) لا شك أن الملقب بالفعر هو الشريف أحمد بن زين العابدين بن عبد الله بن الحسن بن محمد « أبو نمي الثاني » . وقد أوضحنا ذلك في القسم الأول من هذا البحث عند حديثنا عن موضوع العصر الذي عاش فيه الشريف بركات « أبو مالك » .

وعرفنا مما سبق أن بركات المشعشعي لا تربطه بأشراف مكة مثل هذه الصلة، كما أنه من غير المعقول أن يقول بركات وهو الذي ينعت بالملك لابنه : إنك لو طلبت شريف مكة كذا وكذا لم يعطك !

وهل يليق بابن ملك أن يسترفد أي انسان مهما علا قدره ؟!

وهو أقرب إلى البداوة بدليل قوله :

احفظ دبشك اللي عن الناس مغنيك   اللي ليا بان الخلل فيك يرفاك

وإن كان بركات أيضاً يقول في بائيته : وجا المال يحدى جافل من مغاربه !

ج ـ ذكر « شير » أبناء بركات المشعشعي فلم يذكر بينهم مالك ... وحتى لم يكن الاسم متداولا بين المشعشعين فيما دون من أسمائهم ، في حين تكررت عدة أسماء في أسرتهم أغلبها مما كان متداولا في أسرة بني هاشم منذ الجاهلية وصدر الاسلام . !

د ـ كما أن القصيدة لغة وأسلوبا لا تختلف كما يقرر أبو عبد الرحمن بن عقيل عن الشعر العامي بعد استقراره على لهجة نجد وأبو عبد الرحمن محق في قوله أنها ظاهرة جديدة في شعر تلك الحقب ، وهذا يدعم القول بأنها ليست لبركات » [1] ـ يقصد بركة المشعشعي ـ .

هذا فيما يخص الأدلة التي أوردها العريفي ليثبت أن القصيدة « الكافية » المشهورة ليست لبركة أو بركات المشعشي وإنما لشخص آخر .

وقد أوردت قوله هنا بالنص لكي أعلق عليه في بعض المعلومات التاريخية التي ذكرها ، وإن كنت أوكد ما قاله من أن هذه القصيدة « الكافية » ليست لبركة

---

(١) العريفي : الشريف بركات ، ص ٥٤ ـ ٥٦ . وقد قمت باستبدال الأرقام المتسلسلة في هذا النص بحروف أبجدية حتى لا تختلط بالترقيم التسلسلي لهذا القسم من البحث .

المشعشعي « بركات » ولكنها كما سبق أن أوضحنا للشريف بركات بن محمد بن مالك الحارثي « أبو مالك » .

فالذي يلاحظ على المعلومات التي قدمها العريفي أنه لم يحدد اسم الفعر المقصود في البيت الذي استشهد به فقام بتحليلات يستغني عنها من يعرف حقيقة الأمر . فالفعر المقصود هنا ليس الشريف أحمد بن زين العابدين الفعر ـ وهو جد الأشراف الفعور العبادلة ـ ولا الشريف عبد الله بن الحسن جد الأشراف العبادلة عموما ـ الذي لم يطلق عليه لقب الفعر أصلا ـ ولكن المقصود هو الشريف عبد الله بن أحمد بن زيد العابدين بن عبد الله بن الحسن المتوفى أو المقتول خنقا في السجن بينبع سنة ١١٨٩ هـ . وهو بذلك أكثر بعدا عن تاريخ وفاة بركة أو بركات المشعشعي الذي توفي سنة ١٠٢٤هـ أو كما قيل أيضا سنة ١٠١٩ هـ [١] ، ذلك أن الشريف عبد الله الفعر سبق أن ذكرنا أنه عاصر الشريف سرور بن مساعد ـ أمير مكة آنذاك ـ وهو العصر الذي عاش فيه أيضا الشريف بركات « أبو مالك » [٢] .

أما القصيدة الحائية فإن العريفي أيضا يرى أنها ليست لبركة أو بركات المشعشعي . وإليك نص ماقاله تحت العنوان الذي سبق أن ذكرناه « قصائد نسبت إليه وليست من شعره .. الحائية ... وهي قصيدة على وزن المسحوب الذي هو تعديل طفيف في بحر السريع نسبها الشيخ ابن خميس مشافهة للشريف بركات وكذلك ينسبها بعض الرواه إليه . !

ووقف منديل الفهيد عن نسبتها وقال : وقد سمعت من فايز الشريف [٣] أنه ـ أي الشاعر ولم يعينه ـ يقصد بها أحد الأشراف بالخرمة . قال :

---

(١) انظر تاريخ وفاة بركة المشعشعي . العريفي : الشريف بركات ، ص ٤٥ .

(٢) انظر القسم الأول من هذا البحث الذي تحدثنا فيه عن العصر الذي عاش فيه الشريف بركات « أبو مالك » .

(٣) لعله يقصد الشريف فايز بن هزاع الحارثي المتوفى سنة ١٤٠٠ هـ .

ياما حلا الفنجال بارض بياحي	ريح العويدي ذا عره عقب ما فاح
في ضل سرحه والركايب ضواحي	والبال من كثر الهواجيس منساح
الفي مال وصوتوا بالفلاحي	وشالوا على هجن عليها الحلق لاح
تنحروا شبل قليل المشاحي	اللي على ضين المربين ذباح

وفي الهامش قال منديل : الحلق جمع حلقه وسم الشريف .. وإذا كان ذكر وسم الشريف في القصيدة هو الشاهد على كونها لأحد الأشراف فهو في نفس الوقت شاهد على أن صاحب القصيدة غير الشريف بركات المشعشعي لأن سمه وسم الحلق خاصة بأشراف مكة »[1] .

وهنا نجد أن العريفي يوكد أن القصيدة « الحائية » أيضا ليست لبركات أوبركة المشعشعي وإنما هي لأحد أشراف مكة واستنتج ذلك من وسم الإبل الذي هو عبارة عن « الحلق » .

وقد سبق لنا أن أوضحنا أن هذه القصيدة والقصيدة الكافية لانزاع في أنهما للشريف بركات « أبو مالك » الذي عرفنا من نسبه أنه شريف حارثي .

وبعد عرضنا للنصين السابقين الذين يقرر فيهما العريفي بأن القصيدة «الكافية» والقصيدة « الحائية » ليست لبركة أو بركات المشعشعي يكون اللبس قد زال وأدركنا أن الرواه اختلط عليهم شعر ومدائح ومحاورات بركة أو بركات المشعشعي مع شعر الشريف بركات الحارثي « أبو مالك » .

ولكن الأستاذ العريفي هو الذي آثار أقلام بعض الكتاب لسكوته عن إيضاح هذه الحقيقة فمن يعلم يقينا أن الشريف بركات « أبو مالك » صاحب

---

(١) العريفي : الشريف بركات ، ص ٥٨ .

القصيدة « الكافية » المشهورة هو من أشراف مكة المكرمة ـ وما يتبعها إداريا آنذاك ـ ظن أن العريفي نسبه إلى المشعشعين . ولكن هذا لم يحدث وقد عرضنا هنا ما قاله بالنص عن القصيدتين « الكافية » و « الحائية » دفعا للبس .

فالقصيدة الكافية والقصيدة الحائية هما للشريف بركات بن محمد بن مالك بن أبي طالب الحارثي . وهو شخص آخر يختلف في الزمان والمكان عن بركة أو بركات المشعشعي . وهو ما ألمح إليه العريفي ولكن دون أن يوضح الأمر كما ذكرناه .

٣ ـ كتب الأستاذ الشريف محمد بن منصور آل عبد الله ـ عضو نادي الطائف الأدبي ـ مقالا بعنوان : « الشريف الشاعر بركات ليس من عربستان ! استنتاجات العريفي جانبها الصواب » [١] .

وقد قام الشريف محمد بن منصور بتحليلات جيدة أكد من خلالها أن الشريف بركات « أبو مالك » من أشراف مكة المكرمة كما استدل من خلال أبيات القصيدة « الكافية » على العصر الذي عاش فيه الشريف بركات وحدده بالقرن الثاني عشر الهجري .

وكانت تحليلات الشريف محمد بن منصور في مجملها منطقية ولكن ما إلتبس على بعض الرواه من نسبة القصيدتين العينية والنونية للشريف بركات ـ دون التمييز بين الشخصيتين ـ جعل الشريف محمد بن منصور يرجح أن يكون الشاعر من ذوي حسين من آل بركات . حيث جاء في القصيدة العينية المنسوبة خطأ للشاعر الشريف بركات « أبو مالك » قوله :

قال بركات الحسيني والذي له   جواد ما تدنى للمبيعة

---

(١) المقال نشر في جريدة الندوة ، العدد ١٠٣٩٥ الخميس ٤ رمضان ١٤١٣ هـ ، ص ١٣ .

وجاء في القصيدة النونية المنسوبة أيضا خطأ للشاعر قوله :

ومع ذا تعرفين أصلي وفصلي   أنا من روس روس بني حسينا

وقد سبق أن ذكرنا أن هاتين القصيدتين ليستا للشريف بركات «أبو مالك»، وبالتالي فإنهما ربما كانتا لبركة المشعشعي الذي يقال أنه من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهما واشتهر أيضا باسم الشريف بركات .

واستنتاج الشريف محمد بن منصور إنما كان من باب الترجيح . ويتضح ذلك لنا من خلال ايرادنا لنص خلاصة مقاله حيث يقول : « إن بركات الشاعر من أشراف الحجاز ومعاصر لأمير مكة الشريف سرور بن مساعد وعاش في القرن الثاني عشر الهجري ولا صلة له بأمراء المشعشعين . وأما نزوحه عن الحجاز بعد غضبه من أبيه إلى نجد ثم العراق فهو أمر يذكره رواة الأشعار والأخبار . وهو أمر معتاد لدى أشراف الحجاز فكثير منهم نزح إلى العراق وما ورائه لسبب من الأسباب . ونجد ذكر ذلك كثيرا في كتب التاريخ والأنساب . ولكن أين استقر النوى ببركات ومتى مات على وجه التحديد فهذا ما لم أجد له ذكرا حسب اطلاعي المتواضع . ولكن السؤال المطروح إلى من ينتمي بركات في أشراف الحجاز ؟ فهنا لا جواب إلا من باب الترجيح . فأنا أرجح أنه من ذوي حسين من آل بركات بن أبي نمي الثاني ، لأن اسم بركات كثيرا ما يتردد فيهم ، هذا ما أذهب إليه حسب خبرتي ومعرفتي بأنساب قومي من أشراف الحجاز » .

وبعد عرضنا لخلاصة مقال الشريف محمد بن منصور نلاحظ أنه لم يجزم ولكنه رجح أن يكون الشريف بركات من ذوي حسين من آل بركات . ذلك أننا لم نسمع أحدا من ذوي حسين من آل بركات ينسب الشريف بركات إلى قبيلته بل لم يدع ذلك ـ حسب علمي ـ أحد من آل بركات عموما ، لكن كما أسلفت أن بعض القصائد الشعرية التي لا تصح نسبتها للشريف بركات « أبو مالك »

صاحب القصيدة « الكافية » المشهورة جاء فيها أنه حسيني ، ولم نجد في القصائد الثابتة عنه ما يشير إلى أنه حسيني ، ومتى علمنا ذلك أدركنا أنه لا يمكن لنا أن نرجح نسبة الشريف بركات « أبو مالك » إلى ذوي حسين من آل بركات أو ذوي حسين ومن آل جود الله .

فقد سبق أن ذكرنا بأن القصائد التي ورد فيها قول الشاعر أنه حسيني أو المدائح التي قيلت فيه وأشارت إلى أنه حسيني لا تصح نسبتها أصلا إلى الشريف بركات « أبو مالك » الذي تأكد لنا بالأدلة أنه شريف حسني نموي حارثي وأن الذي صح عنه من القصائد التي وصلت إلينا القصيدة « الكافية » المشهورة وما تبقى من القصيدة « الحائية » فقط .

أما ما أشير إليه من غضب الشريف بركات من أبيه ونزوحه إلى نجد والعراق فإن هذه الروايات لا تخص الشريف بركات « أبو مالك » إذ لا علاقة له بها البتة.

٤ - كتب المهندس الشريف عبد الله سند محمد الجودي مقالا بعنوان « تعقيب على تعقيب الشريف محمد المنصور آل عبد الله »[١] قال فيه : « قرأت تعقيب الشريف محمد بن منصور آل عبد الله على كتاب الشريف بركات لمؤلفه أحمد فهد العلي العريفي ولدي عدة ملاحظات أوافق فيها الشريف محمد بن منصور وأعارضه في بعضها وأوضح له وللقراء بعض المعلومات حسب ما لدي من مصادر » .

ثم تحدث المهندس عبد الله الجودي عن موقع إمارة المشعشعين ونسبهم وغير ذلك من المعلومات التاريخية ثم استشهد باستنتاجات الشريف محمد بن منصور على أن القصيدة « الكافية » للشريف بركات « أبو مالك » وأنه من أشراف مكة المكرمة .

---

(١) نشر هذا المقال في ملحق الأربعاء ، جريدة المدينة ، في غرة ربيع الأول عام ١٤١٤ هـ .

ولكن العاطفة غلبت المهندس الجودي فقال : « قائل القصيدة بركات الشريف (بركات بن جود الله) يدلك على قوله الآتي أن الشاعر من آل جود الله بن الحسن فهو يقول لابنه :

واحذر شماتة صاحب لك مصافيك وإلى جـرا لك جاري قـال لولاك
ولا تحـسب أن الله قطوع يخليك ولا تفـرح أن الله على الخلق بداك
إن اشتهى حط الطمع في تواليك لو ما لقيته يا فتى الجود يلقاك

هنا صرح بأنه جودي بقوله يا فتى الجود وكأنه يقول له يا جودي . هذا الاستعمال شائع لدى العرب كقولهم فتى حرب أوفتى وائل وهكذا .

ويقول الشاعر :

والضـيف قـدم له حين يلفيك مما تنوشـه يا فتى الجـود يمناك

من التاريخ والقصيدة يتم استبعاد أن يكون قائل القصيدة الكافية من آل حسين بن يحيى البركاتي ولأنني من آل جود الله بن الحسن فإنه لا يوجد شخص اسمه بركات من آل حسين بن حسن بن أحمد بن مسعود بن جود الله .

قد ينتسب المتكلم لجده الأقرب وقد ينتسب لجده الأعلى حسب المقام والوزن ورسول الله ﷺ ذكر جده الأدنى عبد المطلب في معركة حنين ، بقوله :

أنـا النبـي لا كـذب أنـا ابن عبـد المطلب

لذا فشخصية بركات الحسيني تختلف عن شخصية بركات الحسني فالأول حكم والثاني حاول الاشتراك في الحكم

(يا مرقب بالصبح ظليت أباديـك ما واحد قبلي خبرته تعلاك)

لدينا بركات بن جود الله الثاني بن مسعود بن جود الله بن الحسن وهذا لم ينجب هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فهو متقدم على أحمد بن سعيد بن سعد

بن زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بطبقتين وعن سرور بن مساعد بن سعيد بثلاث طبقات .

أما بركات بن دخيل الله بن عبيد الله بن حسن بن مسعود بن جود الله بن الحسن فهو من طبقة متساوية مع أحمد بن سعيد آل زيد وقد يكون هو المعنى « قائل القصيدة » مع العلم أن القصيدة شابها تحريف وغاية التحريف اخفاء قائلها إذا غير اسم ابنه الحقيقي باسم آخر وذكر أن سرور « عبدا » وليس « أميراً » . ويقال هنالك قصيدة قالها سرور ردا على بركات الجودي آمل من يعرف عنها شيء أن يرسلها ل (الأربعاء) هذا المنبر الإعلامي فالعلم نور »[1] .

هذا هو نص كلام المهندس الشريف عبد الله الجودي الذي أردت إيراده دون غيره من باقي المقال ، لكي أقول هل هذا الاستنتاج علمي ومنطقي . من قال أن الشريف بركات ذكر أن سرور « عبدا » وليس « أميرا » ، ومن قال أن الشريف بركات أخفى اسم ابنه الحقيقي باسم آخر .

في الحقيقة لم يجد المهندس الجودي رجل اسمه بركات من آل جود الله له ابن اسمه مالك ـ عاش في نفس الفترة ـ فظن أن بركات بن دخيل الله الجودي هو قائل القصيدة « الكافية » ، وأن القصيدة شابها تحريف وغاية التحريف اخفاء قائلها إذ غير اسم ابنه الحقيقي باسم آخر .

ليت المهندس عبد الله الجودي بحث وسأل هل هناك من يعرف أصل ونسب الشريف بركات « أبو مالك » وهل بقي أحد من حفدته قبل أن يتسرع ويقول ما لم أسمعه قبل ذلك من أحد من آل جود الله .

---

(١) عجباً كيف يرد الشريف سرور بقصيدة على قصيدة رجل مجهول أخفى اسمه كما يزعم المهندس الجودي .

إن حفـدة الشريف بركـات بن محـمد بن مالك بن أبي طالـب الحارثي من ابنة ابنه « مالك » موجـودون إلى اليوم ، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل ، فـماذا يقول لهم المهندس عبد الله الجودي إذا أكدوا لـه أن جدهم لأمهم هو مالك بن الشريف بركات الحارثي وأن جدهم الحسين بن مـحمد بن دخيل الله الحارثي تزوج من ابنة « مالك » واسمها « موضي » وأعقبهم منها .

ليت المهندس عبـد الله الجودي رجح ولم يجزم وفـعل مثل الشريف محـمد بن منصور آل عبـد الله الذي رجح من خلال النصوص الشعريـة المنسوبة للشريف بركات « أبو مـالك » ـ والتي أوضحنـا أنها نسبت لـلشريف بركات « أبـو مالك » خطأ ـ ذلك أن من حـفدة مـالك بن الشريف بركـات الحارثي رجـال بعضـهم قد تجاوز التـسعين عامـا موجـودون إلى يومنا هذا ومعـروفون لمن أراد أن يسـأل عنهم منهم شيخ ذوي علي بن عـمرو بن أبي طالب الحـارثي وهو الشـريف حـامـد بن محمـد بن الحسين بن محمد بن دخيل الله بـن علي بن عمرو بن أبي طالب الذي يعرف ـ وهو رجل كبير السن ـ أن الشـريف بركات « أبو مالك » شريف حارثي ، وأن ابنه « مالك » جـد أبيه من جـهة أمه وهـذا ما يعرفـه أيضا جـميع ذوي طالب الحـرث ، وقد أخـذت هذه المعلومـات أيضـا من أكثـر حـفدة مـالك بن الشـريف بركات اطلاعا وخبرة وعلما وهو الشريف محـمد بن حمود بن الحسين كما سبق أن ذكرت . أضف إلي ذلك أن مـا صحت نسبتـه من شعر الشـريف بركات « أبو مـالك » القصـيـدة « الحائيـة » التي نص فـيهـا أنه حـارثي . وجاء في جـواب هذه القصـيدة من الشـريف الحارثي سـاكن الخرمـة توضيح المنطقـة التي كان يسكـنها آنذاك الشريف بركـات « أبو مالك » وهي وادي المضيق الذي عـاش فيه وبه وقـفه المشهور من مـاء عين المضيق وكذلك صهـريج المياه الضخم الذي كـان يصب فيه

ماء الوقف وهذا الصهريج موجود إلى يومنا هذا . أضف إلى ذلك قصيدة الشريف علي بن الحسين الحارثي وقصيدة الشريف فهد بن أحمد الحارثي اللتان جاء فيهما النص على أن الشريف بركات أبو مالك شريف حارثي .

فاسأل من شئت عن وقف الشريف بركات « أبو مالك » وسوف يخبرك عنه كل من عرف المضيق أو سكنه واسأل عن صهريجه الذي خصص لذلك الوقف فسوف يدلك عليه كل من عرف المضيق أو سكنه . واسأل عن قصيدة الشريف علي بن الحسين عند أبنائه وهم معروفون لتجد فيها الأدلة الواضحة التي ترشدك إلى الصواب واسأل عن قصيدة الشريف فهد بن أحمد الحارثي وهي عند حفدة أخيه خالد وسوف تجد فيها دليلا آخر على صحة ما قلته . فماذا بعد ذلك أليست الأدلة هي التي نعرف عن طريقها الصواب أم أن الظن والتخمين وما ينتج عنهما هو الصواب .

إنني أعجب ممن يضع النتائج ثم يسوق لها الأدلة سوقا لإثبات فكرة مسبقة مع العلم أن البحث العلمي يقتضي إيراد الأدلة ومن ثم الخروج منها بنتائج تصاغ منها الحقائق .

٥ ـ كتب الشريف عمر بن فيصل آل زيد مقالا بعنوان « هل يمكن اعتبار صمت صاحب الكتاب دليلا على نضوب معلوماته » [1] يقصد بذلك أحمد فهد العريفي مؤلف كتاب « الشريف بركات » .

---

(١) نشر هذا المقال في ملحق الأربعاء ، جريدة المدينة ، في ٢٢ ربيع الأول سنة ١٤١٤ هـ . وقد رد المهندس عبد الله سند الجودي على هذا المقال بمقال نشر في ملحق الأربعاء ، جريدة المدينة ، في ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٤١٤ هـ ، ص ٢٧ تحت عنوان « اعتراض عمر آل زيد لا يغير الحقيقة أو ينفيها » أصر فيه على موقفه في المقال الأول .

تضمن هذا المقال عرضا لمقال المهندس عبد الله الجودي ـ السابق ـ مع الرد على بعض استنتاجاته من ذلك تعجبه من نسبه المهندس الجودي الشريف بركات « أبو مالك » إلى آل جود الله . ثم قال : « فيا أخي عبد الله لنعد جميعا للواقع لعلنا نجد جوابا لسؤال الشريف محمد بن منصور لمن ينتمي بركات الشريف في أشراف الحجاز وهنا لا جواب إلا من باب الترجيح ولكن الترجيح الذي يرتكز على مرتكزات يرضى عنها القارئ المهتم .

ومما سبق نستنتج ما يلي : أن بركات الشريف حجازي البيئة نموي النسب ولا تحديد من أي الأشراف النمويين بالحجاز .

وما تجاهله الأستاذ العريفي لتعقيب الشريف محمد بن منصور وانسحابه من الساحة ، إلا دليلا قاطعا على اختلاف معلوماته حول ما ذهب إليه » .

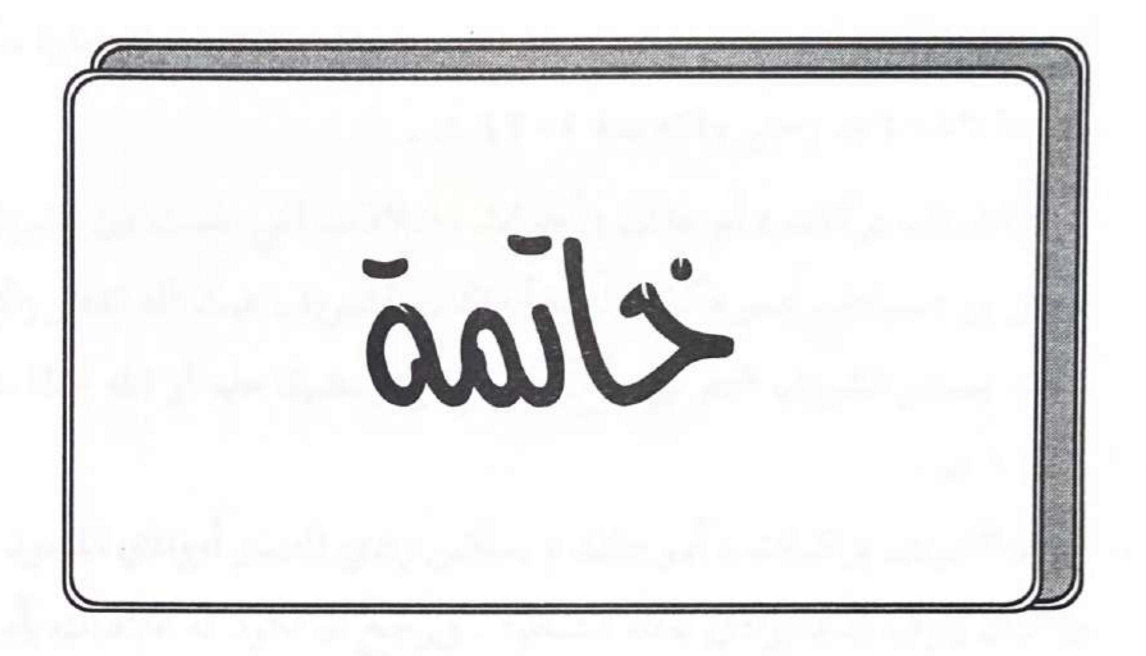
هذا جزء من نص مقال الشريف عمر آل زيد أوافقه في أغلب ما ذكر من معلومات وردود . وأجيبه على سؤال الشريف محمد بن منصور الذي أثاره هنا وهو « لمن ينتمي بركات الشريف في أشراف الحجاز » ؟ فأقول أن الشريف بركات « أبو مالك » هو شريف حسني نموي حارثي ـ كما سبق أن أوضحنا ذلك من قبل في القسم الأول من هذا البحث ـ .

ولكن قبل أن نغادر هذا المقال أقول أن ما أثبته الأستاذ أحمد فهد العريفي للشريف بركة أو بركات المشعشعي من قصائد فإنها فعلا لا تصح نسبتها للشريف بركات الحارثي « أبو مالك » .

فمتى عرفنا أن الشريف بركات « أبو مالك » لم يصل إلينا من شعره سوى أغلب قصيدته « الكافية » وبعضا من قصيدته « الحائية » وغير هاتين القصيدتين مما ذكر لا تصح نسبتها إليه . وإنما صادف اشتهار الشاعرين باسم واحد هو « الشريف بركات » فالتبس على الرواه ما يخص كل واحد منهما من شعر ومع

مـضي الزمن ظن الرواه أنهـما شـخص واحد . ومـن هنا كان الخطأ وبسـبـبه نشـأ الخلاف بين من كتب عن الشريف بركات .

فلو مـيز الرواه بين الشـريف بركات « أبو مـالك » من حيث نسـبه وعـصره وموطنه وشعره ، وبين الشريف بركة أو بركات المشعشعي من حيث نسبه وعصره وموطنه وشعره أيضا لاتضح الأمـر وزال اللبس وانتهت الخلافات ، ولما أطلق أحد العنان للظن والتخمين والعاطفة .


خاتمة

إن النتائج التي خلصنا بها من هذا البحث يمكن تحديدها فيما يلي :

- أن الشريف بركات « أبو مالك » هو شريف حسني نموي حارثي من فرع يقال لهم ذوي مالك نسبة إلى جدهم مالك بن أبي طالب بن الحسن بن أحمد بن محمد الحارث . انتهى عقبهم من الذكور بموت مالك بن الشريف بركات .
- عاش الشريف بركات « أبو مالك » - تقريبا - خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر والصنف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة حيث عاصر بعض أمراء مكة المكرمة آنذاك منهم الشريف سرور بن مساعد الذي تولى إمارة مكة من سنة ١١٨٦ هـ وحتى وفاته سنة ١٢٠٢ هـ .
- أدرك الشريف بركات « أبو مالك » أحداث الخلافات التي نشبت بين الشريف سرور بن مساعد - أمير مكة المكرمة آنذاك - والشريف عبد الله الفعر والتي انتهت بسجن الشريف الفعر في ينبع ومن ثم موته مضيقا عليه أو قتله خنقا سنة ١١٨٩ هـ .
- كان الشريف بركات « أبو مالك » يسكن وادي المضيق أووادي الليمون أو ما كان يعرف قديما بوادي نخلة الشامية . ويرجح أن تكون له علاقات بأمراء مكة المكرمة آنذاك تقوى وتضعف بحسب ظروف كل وقت .
- يرجح أن يكون الشريف بركات « أبومالك » قد عاش عيشة كريمة طيبة إذ أنه كان يملك حصة كبيرة من ماء عين المضيق - عين البردان - تقدر باثنتي عشرة ساعة من الماء أسبوعيا ، مما يدلنا على أنه كان يملك أراض زراعية واسعة تسقيها هذه الكمية من المياه .
- للشريف بركات « أبو مالك » وقف خيري عبارة عن نصف ساعة من ماء عين المضيق أسبوعياً تصب في صهريج بناه لذلك لا يزال موجوداً إلى اليوم في وادي المضيق .

- صح له من جملة القصائد المنسوبة إليه قصيدتان فقط هما القصيدة « الكافية » المشهورة والقصيدة « الحائية » ، تنم عن كريم طبعه ونبل أخلاقه .

وختاما أود أن أقول أن هناك شخص آخر اشتهر أيضا باسم الشريف بركات وهو الشريف بركة المشعشعي يقال أنه حسيني النسب ، لم يميز رواة الشعر بينه وبين الشريف بركات « أبو مالك » الحسني النموي الحارثي ، وظنوهما شخص واحد .

غير أنني أستطيع أن أقول أن كتاب الأستاذ أحمد فهد العريفي «الشريف بركات » يعتبر سيرة ذاتية وديوانا مختصرا للشريف بركة أو بركات المشعشعي . في حين يعتبر هذا البحث المتواضع سيرة ذاتية للشريف بركات الحارثي « أبو مالك » وديوانا مختصرا لما صح نسبته إليه من شعر .

وأسأل الله التوفيق والسداد إنه على كل شيء قدير والحمد لله رب العالمين .

ملاحق

ملحق رقم (١)

مشجرة نسب الشريف بركات « أبو مالك » إلى جده الشريف محمد « الحارث »

بن الحسن بن محمد « أبو نمي الثاني »

ويتضح فيها أيضا نسب الشريف الحسين بن محمد الحارثي وعقبه

الشريف محمد « الحارث »

أحمـــد

محمـــد　　الحسن　　ناصـــر

سكن الخرمـــة　　سكن المضيق　　سكن الخرمـــة

زين العابديـــن　　أبو طالب　　إدريس

علـــي　　مالك　　عمـــرو

محمـــد　　علـــي

الشريف بركـــات　　دخيل الله

مالك　　محمـــد

آخر عقب ذوي مالك　　الحسين

محمد　حمود　علي　عبد الله　محسن　عبد الإله　ناصر

حفيدا مالك بن الشريف بركات

ملاحظة :

لقد أهملت المشجرات الحديثة ذكر ذوي مالك لانقطاع عقبهم من الذكور ، وما لدينا من مشجرات قديمة مشجرة تنسب للشريف سرور بن مساعد يقال إنها مؤرخة بسنة ١٢٠١ هـ وهي محفوظة لدى الشريف مساعد بن منصور آل عبد الله وقد وقفت عند ذكر الحسن بن أحمد بن محمد الحارث ، ثم أضيف إليها بخط مغاير للخط الذي كتب به الأصل طبقات لاحقة أغفل فيها أيضا من أضاف هذه المعلومات ذكر ذوي مالك واكتفى بذكر من بقي له عقب من ذوي أبي طالب بن الحسن بن أحمد بن محمد الحارث .

والمشجرة الأخرى يقال إنها مؤرخة بسنة ١٢٢٤ هـ كانت محفوظة لدى الشريف علي بن منصور الكريمي جاء فيها ذكر زين العابدين ـ فقط ـ من بين أبناء الشريف الحسن بن أحمد بن محمد الحارث ، ولم يذكر أبا طالب وإدريس . ومن جاء بعد ذلك قام بتدوين المشجرات من الواقع فسجل من له عقب إلى اليوم وترك ماسواه . فأغفل ذكر ذوي مالك بن أبي طالب أسوة بغيرهم ممن ليس لهم عقب من الذكور الآن . أما مشجرة الري فلم يصل إلينا أصلها وإنما نقلت مؤخرا في سنة ١٣٨٩ هـ بعد تمزق أجزاء منها وأضيف إليها اضافات حديثة . وقد أثبت في النسخة المنقولة من عقب أبي طالب أبناء علي وعمرو فقط وأهمل ذكر عقب مالك بن أبي طالب لانقطاع نسله من الذكور وسار على نهج هذه المشجرة من اهتم بتدوين المشجرات بعد ذلك .

ملحق رقم (٢)

القصائد التي صحت نسبتها إلى الشريف بركات « أبو مالك »

(أ) القصيدة الكافية :

(١) يا الله يلي كل الأمات ترجيك
يا واحد ما خاب حي ترجاك

(٢) يا رب عبد ما مشى في معاصيك
ولا مشى إلا في محبتك ورضاك

(٣) يا مرقب بالصبح ظليت أباديك
ما واحد قبلي خبرته تعلاك

(٤) وليت يا ذا الدهر ما أكثر بلاويك
الله يزودنا السلامة من أتلاك

(٥) يلي على العربان عمت شكاويك
وليت يا دهر الشقا ول مقواك

(٦) واليوم ها الكانون غادي شبابيك
تلعب به الأرياح من كل شباك

(٧) يا مالك اسمع جابتي يوم أوصيك
واعرف ترى يا بوك بآمرك وانهاك

(٨) وصية من والد طامع فيك
تسبق على الساقه لسانه لعلياك

(٩) أوصيك بالتقوى عسى الله يهديك
لها وتدركها بتوفيق مولاك

(١٠) الله برب أجداد الغر يعطيك
مرضاته مع ما تمنى من امناك
(١١) احفظ دبشك اللي عن الناس مغنيك
اللي ليا بان الخلل فيك يرفاك
(١٢) واعرف ترا مكة ولاها بناخيك
لو تطلبه خمسة دواوين ماعطاك
(١٣) اجعل دروب المرجله من معانيك
واحذر تميل عن درجها بمرقاك
(١٤) لا تنسدح عنها وتبغاني أعطيك
جميع ما يكفيك ما حاصل ذاك
(١٥) أدب ولدك إن كان تبغاه يشفيك
وإن ضاقت أمه لا تخليه يالاك
(١٦) إما سمج واستسمجك عند شانيك
ويفر من فعله صديقك وشرواك
(١٧) والا بعد جهله ترا هو بياذيك
أن ما ربيته ما تجي فيه رجواك
(١٨) ويا مالك ارفق بالحشم والمماليك
يرفق بك الله يوم ترفق بضعفاك
(١٩) واحذر تضيع كل من هو ذخر فيك
معروف لا تنساه واوفه بعرفاك
(٢٠) ترى الصنايع بين الأجواد تشريك
إليا طمعت ابغرسها لا تعداك

(٢١) واحـذر سـرور ابغبـه البـحـر يرمـيك

ولا هو مـفكر في تشكـيك وابكاك

(٢٢) واوف الرجـال احقـوقهـا قبل توفـيك

لا توفـهـا بالـقـول فـالحق يقـفـاك

(٢٣) وهرج النمـيـمة والـقفـا لا يجي فـيك

وإياك عـــرض الغـــافل اياك إياك

(٢٤) تبـدي حــديث للمـلا فـيـه تشكـيك

وتهـيم عند الناس بكـذب واشـراك

(٢٥) واليـــا نـويت احـــذر تعـلم بطـاريك

كم واحـد تبغـى به العرف واغـواك

(٢٦) واحذر شماتت صاحب لك مصافيك

وليـا جـرى لـك جـاري قـال لولاك

(٢٧) ولا تحـــسب أن الـله قطـوع يخليك

ولا تفــرح أن الـله على الخلق بداك

(٢٨) الضــيـف قــدم له هلا حين يلـفـيك

ومما تـطوله يـا فــتى الجــود يمناك

(٢٩) احـذر تلقي الضــيق مـقـرن عـلابيك

خله مــحب لك صـديق ليــا جـاك

(٣٠) وأوصيك زلات الصديق إن عـثا فيك

مـا زال يغطاها الشـعرفـاحتـمل ذاك

(٣١) راعـه ولو مـا شـفت أنه يـراعـيك

عـسـاك تـكسـر نيتـه عـن مـعـاداك

(٣٢) واحذر عـدوك ولو أظهر أنه مصـافيك

خلك نبـيـه وراقبـه وين مـا جـاك

(٣٣) لا تأمـنه واطـلب من الـله ينـجـيك

ويكفـيـك ربك شـر ذولا وذولاك

(٣٤) شـفـني أننا يابـوك بآمـرك وانهـيك

عن التـعـرض بين الاثنين حـذراك

(٣٥) اذا حـضـرت طلابـة مع شـرابيك

اسـمع لهم بالـصلح واللاش يفـداك

(٣٦) ابذل لـهم بـالطيـب ربك ينـجـيك

ولا تجـضع الميـزان مع ذا ولا ذاك

(٣٧) أمـا الـشـهـادة فـادها إن دعـوا فـيك

بين عـمـود الحق لا عـمـيت ارياك

(٣٨) بـالك تمـاشي واحـد لـك يرديك

طالع بنـي جنسك وفكر بمـمشـاك

(٣٩) رابع أصـيل في زمـانك يشـاكـيك

لا شـاف خـلاتك عـن الناس غطاك

(٤٠) واحـذرك عـن طرد المقـفي حـذاريك

عليـك بالمقـبل واترك الـلي تعـداك

(٤١) ثم الـعن الـشـيطـان اياه يغـويك

ترى إن تبـعـتـه للـشـرابيك وداك

(٤٢) واوصـيـك لا تشكي عـلينا بـلا ويك

أنت السبـب طرفت عيونك بـيمناك

(٤٣) واعـرف ترى اللي وطا الفـعـر واطيك

ولا انت أعـز من الجـماعـة هذولاك

(٤٤) ألمسـك يا راسي مـن الذل وأخطـيك

واحــذر تكـلم يالســاني حــذاراك

(٤٥) والطف بجـارك وقم من دون عـانيك

وافطن لمـا يعنيك عن ربـعـة أخــواك

(٤٦) يا ذيب وأن جتك الغنم في مـفـاليك

فــاكــمـن لين إن الرعــايـا تعــداك

(٤٧) فـيـمـا مـضى يا ذيب تفـرس بيـاديك

واليـوم جـا ذيب عن الفـرس عـداك

(٤٨) يا ذيب عاهدني وأعـاهدك ما أرميك

مـا أرميك أنا يـا ذيب لو زان مرمـاك

(٤٩) والنفس خــالف رأيهــا قـبل ترمـيك

ترى لهــا الشـيطان يـرمي بالأهلاك

(٥٠) ومن بعد ذا لا تصـحـب النذل يعديك

وعن صحبة الأنذال حاشاك حاشاك

(٥١) ترا العــشيــر النذل يخـلف طواريك

وأنا أرجـي أنك مــا تجـي دون آباك

(٥٢) والهــقـوة انـك مـا تجي دون أهـاليك

ولا ظن عــود الورد يثــمــر بتنبــاك

(٥٣) والحر مثلك يستحي يصحب الديك

وإن صاحبه قاقا مقاقاة الأدياك

(٥٤) لا تستمع قول الطرف يوم يلقيك

بالكذب يقضي حاجته كل ما جاك

(٥٥) من نم لك نم بك ولا فيه تشكيك

والياه قد زرى رفيقك وزراك

(٥٦) عندك حكى فينا وعندي حكى فيك

وأصبحت كارهنا وحنا كرهناك

(٥٧) ما اخطاك ما صابك ولو كان راميك

واللي يصيبك لو تتقيت ما اخطاك

(٥٨) مير استمع مني عسى الله يهديك

النصح يا مالك لك الله مولاك

(٥٩) عندي مظنه ما تمثلتها فيك

واطلب لك التوفيق من عند مولاك

(ب) القصيدة الحائية :

مطلعها :

الحارثي رد المثايل قراحي

سواة عد من مخاييل الأقراح

للصاحب اللي سند الدرب ضاحي

وروح ولكن من ضميري فلا راح

ومنها :

لن ضاقت الديرة وشح المراحي

تلقى رفيق باسط الوجه والراح

ويا ليت وادينا بأرض براحي

يكفي جميع اللي نبيهم ونرتاح

ومنها :

يا ما حلا الفنجال بأرض بياحي

ريح العويدي ذاعره عقب مافاح

في ظل سرحه والركايب ضواحي

والبال من كثر الهواجيس منساح

الفي مال وصوتوا بالفلاحي

وشالوا على هجن عليها الحلق لاح

وتنحروا شيخ قليل المشاحي

اللي على ضين المربين ذباح

ملحق رقم (٣)

صور بعض المواضع الأثرية التي وردت في ثنايا البحث



١ - منظر لطرف صهريج ماء وقف الشريف بركات « أبو مالك » ، وهو مبني بالحجارة تحت سطح الأرض في وادي المضيق ، وتبدو فوهته وقد سدت بطبقة خرسانية ، وبقربها بركة ماء بنيت في وقت لاحق .



٢ ـ منظر آخر للجزء الظاهر على سطح الأرض من صهريج ماء وقف الشريف بركات « أبو مالك » في وادي المضيق ، وبقربه بركة ماء بنيت في وقت لاحق .



٣ ـ منظر لمنبع ماء عين البردان ـ عين المضيق ـ في أعلى وادي المضيق ـ وادي نخله أو وادي الليمون ـ وذلك بعد أن وضعت في أنابيب ليستفيد من مائها أهالي مكة المكرمة .



٤ - منظر لمجرى ماء عين « البردان » - عين المضيق - في أعلى الوادي حيث كانت تجري فيما بين سفح الجبل والجدار الساند المبني بالحجارة . وقد نبت الآن في مجرى العين بعض الحشائش وأشجار السلم والحرمل.



٥ ـ منظر عام لموقع عين « تنضب » وهي في الجانب المقابل لعين « البردان » كانت تسقي هذه الأراضي الزراعية فيما مضى ثم اندثرت قديماً .



٦ - المؤلف قرب جزء من البناء الذي على هيئة الدرب الذي بناه الشريف قتادة بن إدريس أمير مكة - فيما بين عام ٥٩٨ هـ إلى عام ٦١٧ هـ - والموقع في المضيق قرب جبل يسمى « البسيط » كما يسمى « الشدي » .



٧ ـ منظر آخر لجزء من البناء الذي على هيئة الدرب الذي بناه الشريف قتادة بن إدريس والموقع في المضيق قرب مزرعة تسمى « بشرا » .



٨ ـ منظر آخر لجزء من البناء الذي على هيئة الدرب الذي بناه الشريف قتاده بن إدريس ، والموقع في المضيق وقد سقط هذا الجزء من البناء في بطن الوادي قرب مزرعة تسمى « بشرا » .



٩ - منظر سور ضخم لأحد المزارع في وادي المضيق ، أشار إليه إبراهيم رفعت في كتابه « مرآة الحرمين » .



١٠ - منظــر منزل الشريف علي بن الحسين الحارثي في وادي المضيق على رأس جبل « العطشان » قرب جبل يسمى « البسيط » كما يسمى « الثدي » .



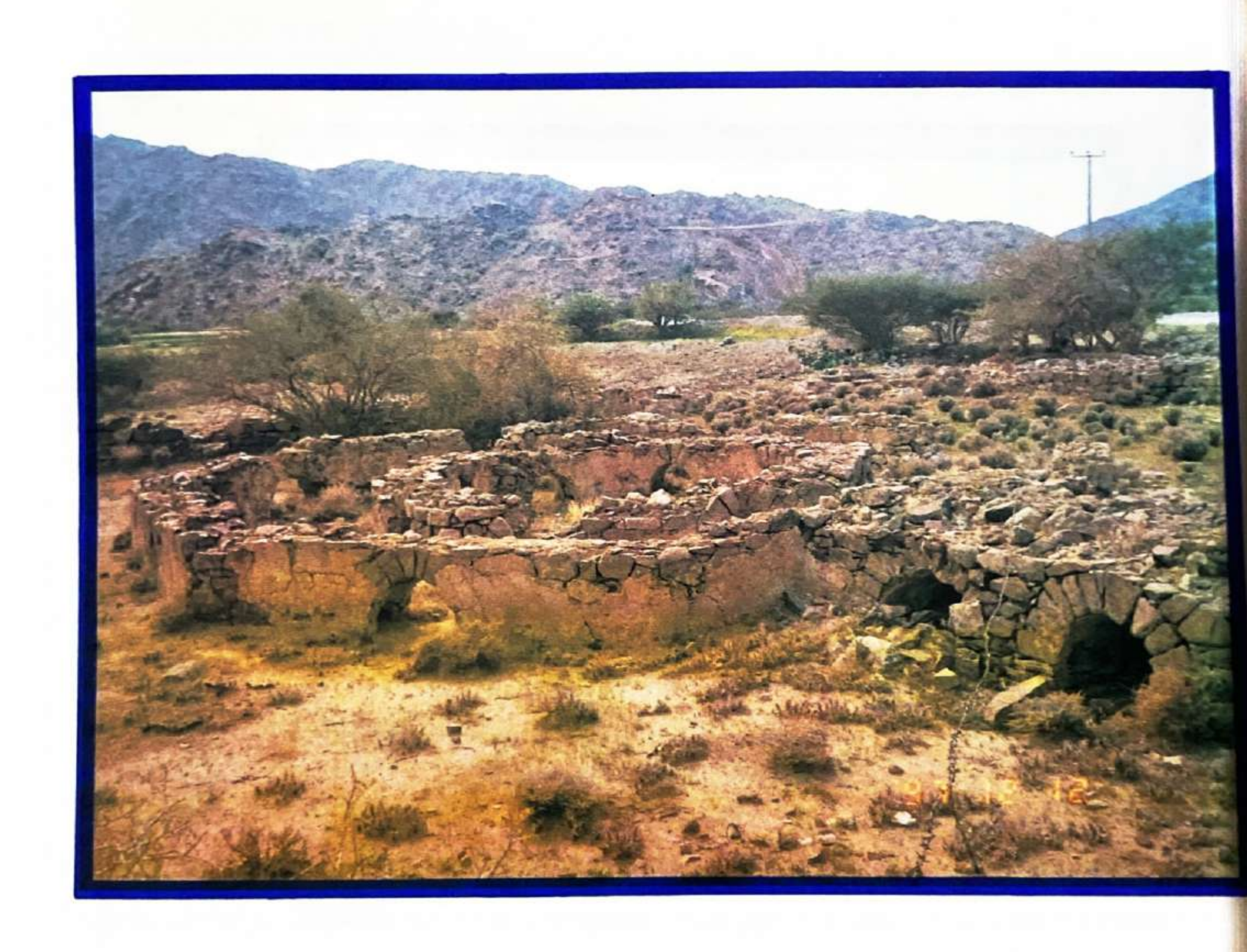
١١ ـ منظر عام لمنازل قديمة لبعض الأشراف الحرث في وادي المضيق « وهم ذوو هزاع » .



١٢ ـ منظر عام لجزء من وادي المضيق وبقية من مزارعه المندثرة .



١٣ ـ منظر عام آخر لجزء من وادي المضيق .



١٤ ـ منظر لآثار قصر في منطقة اللويه أسفل وادي المضيق علي يسار الذاهب إلى مكة . وكان « الحربي » قد ذكر اللويه ضمن المواقع القائمة على طريق حاج العراق في كتابه « المناسك » .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم رفعت : إبراهيم رفعت باشا المليجي توفي سنة ١٣٥٣ هـ .

* مرآة الحرمين (بدون) .

- البكري : أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز توفي سنة ٤٨٧ هـ .

* معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق مصطفى السقا . مطبعة لجنة التأليف . القاهرة . الطبعة الأولى سنة ١٣٦٤ هـ .

- البلادي : عاتق بن غيث .

* أودية مكة المكرمة . دار مكة للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ .

* معجم قبائل الحجاز . دار مكة للنشر والتوزيع . الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ .

* معجم معالم الحجاز . طبعات أجزاء الكتاب مختلفة . طبعة نادي الطائف الأدبي سنة ١٣٩٨ هـ . وطبعة دار مكة للنشر والتوزيع . مكة المكرمة . الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ . وطبعة سنة ١٤٠٢ هـ . والطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ. والطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

- ابن بليهد : محمد بن عبد الله .

* صحيح الأخبارعما في بلاد العرب من الآثار . طبعة سنة ١٣٩٢ هـ .

- الجاسر : حمد الجاسر .

* المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية . منشورات دار اليمامة . الرياض . الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧ هـ .

* مقال بعنوان « مع الموسوي المكي في رحلته نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس » مجلة الفيصل العدد ٢٢٣ .

- ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير توفي سنة ٦١٤ هـ .

* رحلة ابن جبير . دار صادر للطباعة والنشر . بيروت . طبعة عام ١٣٨٤ هـ .

ـ الجودي : عبد الله سند الجودي .

* مقال بعنوان « تعقيب على تعقيب الشريف محمد المنصور آل عبد الله » . جريدة المدينة . ملحق الأربعاء . المؤرخ في غرة ربيع الأول سنة ١٤١٤ هـ .

ـ الحربي : أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق توفي سنة ٢٨٥ هـ .

* كتاب « المناسك » . تحقيق حمد الجاسر . منشورات دار اليمامة . المملكة العربية السعودية . الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هـ .

ـ الحسن : غسان حسن أحمد .

* الشعر النبطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية . المجمع الثقافي . مؤسسة الثقافة والفنون . الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م .

ـ دحلان : أحمد زيني توفي سنة ١٣٠٤ هـ .

* خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام. مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة . طبعة سنة ١٣٩٧ هـ .

ـ الزركلي : خير الدين .

* الأعلام . دار العلم للملايين . بيروت . الطبعة السابعة سنة ١٩٨٦م .

ـ آل زيد : الشريف عمر بن فيصل

* مقال بعنوان « هل يمكن اعتبار صمت صاحب الكتاب دليلا على نضوب معلوماته ». جريدة المدينة. ملحق الأربعاء في ٢٢ربيع الأول سنة ١٤١٤هـ .

ـ السبيعي : عبد الله سعد الحضيني.

* الخرمة . الرئاسة العامة لرعاية ا لشباب . الرياض . طبعة سنة ١٤١٤ هـ .

ـ الظاهري : أبو عبد الرحمن بن عقيل .

* ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد . دار العلوم . الرياض . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ .

ـ آل عبد الله بن سرور : الشريف محمد بن منصور .

* قبائل الطائف وأشراف الحجاز . مطابع الحارثي . الطائف . الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ .

* مقال بعنوان « الشريف الشاعر بركات ليس من عربستان » جريدة الندوة العدد ١٠٣٩٥ الخميس ٤ رمضان سنة ١٤١٣ هـ .

ـ العريفي : أحمد فهد العلي

* الشريف بركات ؟! . مطابع الفرزدق التجارية . الرياض الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ .

ـ عز الدين ابن فهد : عبد العزيز بن عمر الهاشمي القرشي توفي سنة ٩٢٢ هـ .

* غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام . تحقيق فهيم محمد شلتوت ، دارالمدني ، جدة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

ـ العصامي :عبد الملك بن حسين .توفي سنة ١١١١ هـ .

* سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي . المطبعة السلفية ومكتبتها . طبعة سنة ١٣٨٠ هـ .

ـ الفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب . توفي سنة ٨١٧ هـ .

* القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. الطبعة الثانية سنة١٤٠٧هـ .

ـ القلقشندي : أحمد بن علي . توفي سنة ٨٢١ هـ .

* نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب . دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .

ـ كمال : محمد سعيد .

* الأزهار النادية من أشعار البادية . الناشر مكتبة المعارف الطائف . الطبعة السادسة (بدون) .

ـ لسترنج : كي لسترنج .

* بلدان الخلافة الشرقية . ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ هـ .

ـ الموسوي المكي : العباس بن علي . توفي سنة ١١٨٠ هـ .

* نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس . نشر مكتبة المعارف الطائف (بدون) .

ـ آل نوري : عبد الله آل نوري .

* الأمثال الدارجة في الكويت . مطبعة قلفاط . بيروت اصدار مكتبة دار أعلام الفكر (بدون) .

ـ ياقوت : أبوعبد الله ياقوت الحموي . توفي سنة ٦٢٦ هـ .

* معجم البلدان .

دار صادر ، بيروت طبعة سنة ١٣٩٧ هـ . أيضا طبعة دار صادر ودار بيروت سنة ١٤٠٤ هـ .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعـــات



مكة المكرمة - منتصف شارع الحج - ص.ب ٢٧٦٧
تليفون : ٥٧٢٠٦٠٨ (٤ خطوط) - فاكس : ٥٧٠٣٥٠٠

رقم الإيداع : ١٩/٢٣٤٧
ردمك : ٨-٢٣٥-٣٥-٩٩٦٠

